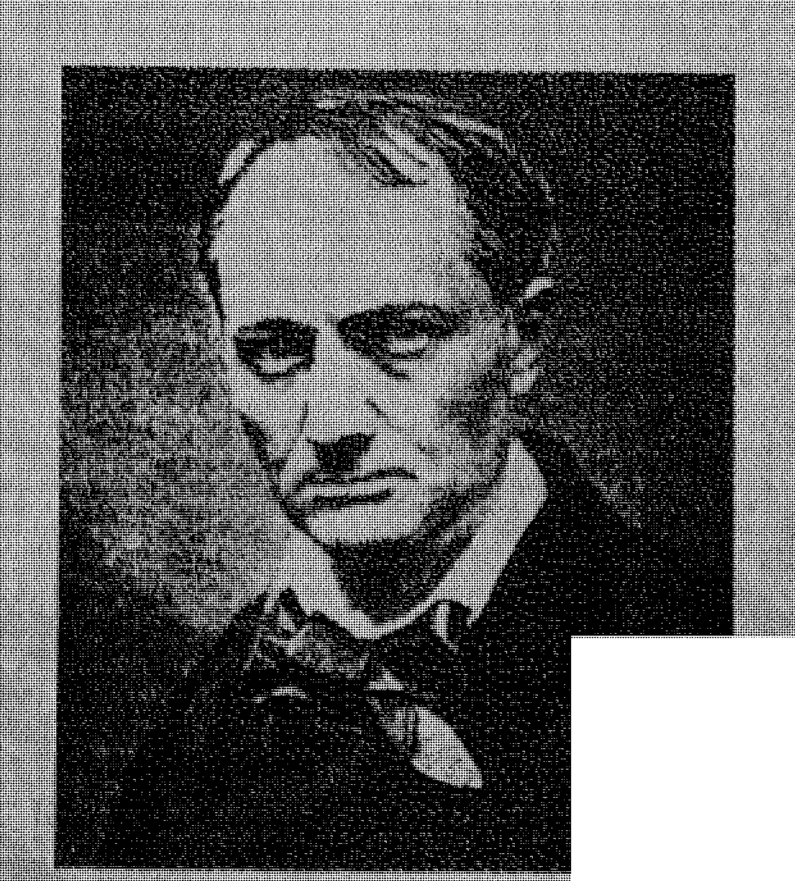
شارل بودلير

شاعر الخطيئة والتمرد



المشير

شارل بودلير

شاعر الخطيئة والتمرد

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

رقم الأجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٩٧/٣/١٠٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٩٧/٣/٢٤٠



مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي
هاتف: ٦٥٩٨٩١ / ٦٥٩٨٩٢
فاكس: ٦٥٩٨٩٣ - تلكس: ٢٣٧٠٨ بشير
ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢
عمان ١١١١٨ الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) - (183982)
Amman 11118 Jordan

شارل بودلير

شاعر الخطيئة والتمرّد

تعريب وتحليل
الدكتور عمر عبد الماجد

توزيع
دار البشير

إهداء

إلى ابنتي نوار...

فقد كان لها الفضل في دفعي لاقتحام عالم هذا

الشاعر المدهش !!!

الذي خلق بعبقريته لغةً جديدةً ...

وعلاقاتٍ جديدةً بين المفرداتْ.

عذابـــات الـشـاعـر

إلى روح الشاعر شارل بودلير

أيُّها المحمولُ كالنعشِ ...
على جمرِ خطاياكَ العظيمهْ.
من صياحِ الديكِ حتى غسقِ الليلِ ..
تجرُ جناحيكَ على الأسفلتِ ...
مخموراً بأوجاعِ الهزيمهْ.
عاثراً في خطوك المجروحِ حتى العظمِ ...
تقتاتُ الأسى زاداً على بحرِ أماسيكَ ...
المليئَة بالتشردِ والفجيعهْ.
وتضاجعُ الأفعى التي شحنتَك بالسم الخرافي الزعافْ.

تغشى طواحينَ الجنونِ ولا تخافْ.

وتعاشِر الشيطانَ والسعلاةَ ..

والغولَ الذي يقتاتُ من أعصابك المشدودةِ ..

الأوتارِ آلاءَ اليقينْ .

يا طائرَ البطروسِ أنت « الجرحُ والسكينُ »

والألمُ الذي يفري عظامك في تضاعيف السنينْ .

للريح صدرُكَ عاري الكتفينِ ..

إلا من دِثارِ الشعرِ والوهجِ الذي ..

يأتي بميلادِ القصيدهْ.

للثلجِ والأمطارِ معطفك الذي

اهترأ النسيجُ به كما اهترأت ...

بداخلك القناعات العتيدهْ.

يا طائرَ البطروسِ نارُ الشعرِ محرقهْ

شقيت بوقدها دهراً ..

كما شقيتْ قرابينُ العقيدهْ

لملم غناءك من حلوقِ الطيرِ ...

والريحِ التي هجرتْ شِراعكَ في أُجاجِ المِلحِ ..

وادخل حافي القدمين للنُّصُبِ القديمهْ

لا باغياً ظفراً ..

ولا مستسلماً تخشى الهزيمهْ

فالريحُ قد هدأتْ.

فنم كالطفلِ حين يَهُدّه تعبُ النهارْ

مزمارهُ القصبي منكسراً

ودميتُه الأثيرةُ عند أقدامِ الجدارْ

عمـــــــر

الخرطوم أبريل ١٩٩٤م

رسالـة إلـى القـارىء

ولكن بين الثعالب والفهود والقُمّل ..

والقِردَةِ والعقاربِ والنسورِ والحيّاتْ ..

والوحوشِ العاويةِ الصارخةِ الزاحفهْ ..

داخل آثامنا الدنيئةِ المقززهْ

فإنّ هنالك من هو أكثر بشاعةً وأكثرُ خبثاً وقذارهْ.

رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صراخْ.

جاعلاً من الأرض حطاماً ويبـابْ.

وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدهْ:

إنّه الضجرْ ..

العينُ المليئةُ بالرعبِ اللاإرادي.

الحالمةُ في ارتخاءِ على منصةِ الإعدامِ وخلف دخانِ النراجيلْ.

وأنت تعرفه أيُّها القارىء المنافقْ ..

يا شبيهي يا أخي ..

إنّه الضجرْ !!!

شارل بودلير

مدخـــــــل

في البدء أود أن أضع نفسي على كرسي الاعتراف لأقرّ بحقيقة مؤداها أنّ ترجمة الشعر من لغته الأصلية إلى لغة أخرى، عملية شاقة للغاية بل تكاد تكون ضرباً من الجنون . فترجمة الشعر محاولة لإعادة الخلق ومعاناة مخاضٍ ثانٍ . إذ أنّ مترجم الشعر يجهد نفسه ليضعها في اللحظة الشعورية للعملية الإبداعية لمعاناة الشاعر إبّان الطلق الشعري، الذي يسبق عادة عملية الخلق وإنجاب «المعادل الموضوعي»، الذي يعتمل ذهن ووجدان الشاعر بالتيارات المصطرعة الصخابة على حدّ تعبير ت.س. إليوت . وبما أنّ اللغة، أيّ لغة، في تحليلها النهائي تمثل عقلية وتراكماً ثقافياً ومعرفياً وتاريخياً طويلاً، وقيماً جمالية وروحية للشعب الذي يتحدثها، فإنّ نقل العمل الإبداعي والشعر على وجه الخصوص من لغته الأصلية والبيئة التي نشأ فيها إلى لغة أخرى، وبالتالي إلى عقلية أخرى وبيئة أخرى وموروثات أخرى تصبح مهمة في غاية الصعوبة والمشقة، مما قد يفقده الكثير من بهائه وعذوبته، بل يجعل منه في كثير من الأحيان عملاً باهتاً يفتقر إلى الإمتاع

وإثارة الدهشة المفترضة أن يُجلِّقها في نفس المتلقي إذا ما أتيحت له قراءة النص في لغته الأم . بالإضافة إلى ذلك فإنّ الصورة الشعرية في حدّ ذاتها تمثل رؤيا تلتقطها عدسة عين الرؤيا الشعرية لدى الشاعر، وبما أنّه من الاستحالة بمكان ترجمة الرؤيا فإنّ ترجمة الصورة الشعرية بكل ظلال كلماتها وتشعب أبعادها ووقع تأثيرها يصعب بالمثل نقلها من لغة إلى لغة أخرى .

إذ أنّ لغة الأصل تخلع عليها خصوصياتها البيئية والتراثية، وتضفي على مفرداتها ظلالاً لا تؤطرها القواميس . ومن هنا تزداد الصعوبة وتتعقد المهمة . وبما أنّ الإحساس بالجمال أو القبح أمران نسبيان خاضعان للتكوين النفسي والنسيج العصبي ورهافة الحسّ فضلاً عن الموروث الحضاري والقيم الجمالية والأخلاقية السائدة في المجتمع، فإنّ الصدمة الجمالية التي يحدثها الشعر الجيد تختلف من لغة إلى أخرى ومن متلقٍ إلى آخر. لهذه الاعتبارات فإنّ الشهرة التي يحظى بها بعض الشعراء في بيئات غير بيئاتهم عبر نقل أشعارهم إلى لغات أخرى، تكون عادة مثار دهشة واستغراب، وهذا بالضبط ما حدث للأمريكان والألمان عندما رأوا تعلق الفرنسيين بأشعار إدجار الان بو وهنري هين رغم كونها مترجمة للفرنسية من الإنجليزية والألمانية . وذلك نظراً للأسباب التي تطرقنا إليها في مطلع هذا الحديث . ولا نعتقد

أنّ أيّ قارىء أجنبي مهما أوتي من معرفةٍ باللغة العربية أن تكون له نفس الحاسة والشعور بالنشوة والمتعة الجمالية التي يجدها القارىء العربي لمعلقة امرىء القيس مثلاً، أو رائية عمر بن أبي ربيعة، أو أنشودة المطر للسيّاب، أو العودة إلى سنار لمحمـــد عبد الحي، أو الرميكية لأنس الحاج، أو قطار الغرب لمحمد المكي إبراهيم .. إلخ.

ماهي القصيدة؟ وما هو الشعر؟

في حقيقة الأمر فإنّ القصيدة ما هي إلا شكل واحد من أشكال التعبير الشعري، فالشاعرية يمكن العثور عليها في الكثير من ضروب التعبير الوجداني . إذ يمكن وجودها في الرواية كما يمكن أن تكون موجودةً في اللوحة أو في المقطوعة الموسيقية أو في المناظر الطبيعية أو في البشر أنفسهم «جورج بمبيدو Antholo-gie De la poesie Fransaise»، والشاعرية في كافة مدلولاتها وجميع أشكالها وصورها ما هي إلا انبثاق قوة أشبه بالحلم، وغوص في الأعماق تثير في نفس المتلق أو المشاهد أو المستمع ضرباً من ضروب الفرح المشوب بالحزن أو الحزن الممتع بتعبير آخر أو البهجة المتأتية من العذوبة الشعرية . وإن كانت الشاعرية موجودة في الكثير من الأشياء كما جاء في اعتقاد «جورج بمبيدو»، فإنّ ذلك لا يعني أن لا نطلبها لدى الشعراء. فالرواية واللوحة والسيمفونية الخالية من الشاعرية يمكن قراءتها أو مشاهدتها أو سماعها . بمعنى أنّه يمكن الاستغناء عن الشاعرية فيها إذا ما اتسمت بجودة الصنعة ومتانة السبك . ولكن بالنسبة للقصيدة الخالية من الشاعرية فإنّ الأمر مختلف تماماً، إذ أنّها تصبح حرفاً ميتاً يثير الملل وربما الغثيان في بعض الأحوال. وليس هذا أمراً تتسم به قصائد صغار الشعراء بل عرفته الكثير من

قصائد كبار الشعراء في تاريخ الأدب العالمي . فالقصيدة التي تفتقر إلى الشاعرية مخلوق مسْخ شائه وُلِدَ ميتاً .

يقودنا كل ذلك إلى سؤالٍ صعبٍ عن ماهيّة الشعر. ما هو؟ وكيف يمكن تعريفه ضمن الإبداعات الأخرى التي مارسها الإنسان طوال مسيرته على ظهر هذا الكوكب ؟ ولا أخالني أعدو الحقيقة إن قلت بأنّه من أصعب الأشياء وأعقدها الوصول إلى تعريف جامع مانع لماهيّة الشعر .. وذلك لأنّ الشعر روح والروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً كما جاء في محكم التنزيل . لهذا الاعتبار فإنّ الإنسان بوسعه أن يحلل قصيدة من القصائد من حيث الوزن والروي والقافية والمفردات والإيقاع والصور والأخيلة والتناغم ومواطن القوة والضعف فيها غير أنّ كل ذلك بالنسبة للقصيدة مــا هو إلا إطاراً خارجياً وليس تعريفاً. «بمبيدو نفس المصدر». لهذا الاعتبار فإنّنا إن أردنا الاقتراب النسبي من معنى الشعر فإنّنا نجده في الأثر الذي يخلقه في نفوسنا ساعة التلقي . فالقصيدة التي تحدث في نفس القارىء نوعاً من الصدمة التي تخرجه من ذاته لتلقي به في أحضان الأحلام، أو تجعله يغوص بصورة أكثر عمقاً في تضاعيف نفسه، أو تجعله يلامس الوجود أو القدر بصورة أكثر انغماساً وحِدّة، فهي قصيدة تعكس في وضوح مدى الشاعرية التي تزخر بها .

إذ أنّ الشعر ليس هو الإطار الصارم الذي يؤطر القصيدة أو الالتزام الكامل بالعمود والتصريع وما إلى ذلك أو «الكلام الموزون المقفى الذي يؤدي إلى معنى »،كما جاء في حديث قدامة بن جعفر الناقد .. فهو الروح التي تسكن كل ذلك وتتخطى كل ذلك في انطلاقها الأثيري المرف كأجنحة الفراشات، وهو في النهاية تكسير للعلاقات المتواطأ عليها بين الكلمات وخلق علاقات جديدة بينها، مما يشحن هذه المفردات بتيار كهربائي يصعق في ذهن المتلقي المسلّمات القديمة المتصلة بعلاقات المفردات ببعضها البعض، وبالتالي يولد الدهشة والإمتاع والوقوع في أحضان الحلم بالنسبة للمتلقي . والكلمة في الشعر هي الإطار الذي يضبط الانفلات المخيف للروح، ذلك السرحان، ذلك التيه والهيام إلى حدّ التلاشي في الأشياء . والكلمات في الشعر هي نظام في العلاقات يمسك الشاعر عن الخوض أبعد فيستعيده إلى العالم الترابي بعد أن كاد أن يفلت. «راجع نوري الجراح جريدة الحياة ١٦/١٢/١٩٩٦م».

شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرّد:

صوت من أصوات الحركة الرمزية التي عرفتها فرنسا في القرن التاسع عشر . يدور حول محاورها وينطلق من منطلقاتها، غير أنّ له تفرده وشخصيته الخاصة به، وقاموسه اللغوي الذي أضفى على شعره خصوصيه لا تنفصل عن التكوين الشخصي له

بكل ما يستوعب هذا التكوين من عوامل ومؤثرات، لا سيما وأنّ العمل الإبداعي هو قبل كل شيء جزء من كيان فني مستقل «هو عالم الشاعر الخاص قبل أن يكون ملمحاً لظاهرة عامة ذات سمات مشتركة . فالشعراء في كل زمان ومكان مهما يتفقون في الخصائص العامة للاتجاه الفني الواحد فإنّه لا يمكـــن أن تُـفْـقَـــدْ نهائياً وبصورة قاطعة كل ملامح الفردية التي تشير إلى صاحبها وتدل عليه انظر د. عبدالحليم بلبع «مجلة الثقافة العربية ١٩٧٥م ». لذلك فإنّ بودلير قد خلق بتفرده مدرسة فنية خرج من تحت معطفها العديد من الشعراء الكبار. وقد صار نتيجة لذلك أكبر شعراء الحضارة الأوروبية الحديثة المستشرفة للقرن العشرين «دائرة المعارف البريطانية : مادة بودلير».

ولد شارلس بودلير بباريس في التاسع والعشرين من أبريل عام ١٨٢١م ، وتوفي بها في الحادي والثلاثين من أغسطس ١٨٦٧م ، بعد عمر قصير لم يتجاوز السادسة والأربعين مليء بالضجر والحيرة والتمرُّد.

كان والده مشغولاً بهموم الثقافة كما كان رساماً جيداً . ولهذا أخذ في تنشئة ابنه على تذوق جمال الأشكال والخطوط والألوان منذ حداثة سنّه ، الشيء الذي جعل منه في مستقبل حياته أكبر نقاد الفن في فرنسا القرن التاسع عشر . ومما لا شك

فإنّ قصيدته «مشاعل» تكشف إلى أيّ مدى كان مولعاً بالنقد الفني وبارعاً في مضماره ، فالحشد الضخم لأسماء الفنانين التشكيليين الذي احتوت عليه القصيدة يقف شاهداً على معرفته اللصيقة لإبداعات هؤلاء الفنانين ومواطن القوة والضعف فيها. وبعد أن توفي والده عام ١٨٢٧م وهو بعد في السادسة من عمره عكفت أمه على تربيته فأغدقت عليه الكثير من الحب والحنان والتدليل. غير أنّ هذه الجنّة العامرة بالحب والحنان لم تدم طويلاً إذ أنّ أمه ما لبثت أن تزوجت من جنرال بالجيش الفرنسي مما جعل الصبي يحس بأنّ هذا الغريب قد دخل في حياته بصورة لم يجد لها مبرراً ليشاركه قلب أمه . وقد كان ذلك أحد أسباب التعاسة التي أخذ يحس بها وهو بعد صبي لم يكمل عامه السادس. ولهذا السبب نفسه أصبحت مشاعره تجاه أمه خليطاً من الحب والضيق والشفقة والتمرّد والكراهية راجع:
Intimate "ISHER WOOD" Journal : Charles Baudelaire

وعلى الرغم من إعجابه لحدٍّ ما بزوج أمه الجنرال أوبيك إلا أنّهما كانا عالمين مختلفين يتحدثان لغتين مختلفتين تماماً، ولهذا استحال التفاهم بينهما على الرغم من أنّ الجنرال أوبيك كان حريصاً على تعليم الصبي الانضباط الذي أرسله من أجله عام ١٨٣٢م إلى مدرسة داخلية بمدينة ليــون . ولـمـا انتقلت الأسرة

إلى باريس أرسله كذلك إلى مدرسة (لويس العظيم) في نفس المدينة . غير أنّه ما لبث أن أصبح مثالاً للفوضى وعدم الانضباط وأخذ يبدو بمزاج دائم الحزن بعد أن ترسخ لديه شعور بأنه ذا طبيعة انطوائية . وقد قال عن نفسه حينذاك بأنّ روحه مشروخةّ ومتصدعةّ وأنّ قلبه منقبض ومغموم «يحبطه الشرّ والقبح والغباء». لهذا أخذ ينظر إلى المستقبل بالكثير من خيبة الأمل إلى درجة صار فيها يعتقد بأنّ العالم قد شارف على نهايته «نفس المصدر».لجملة هذه الاعتبارات، فقد أمضى حياته تعيساً غير قادر على تخطي مآسيه فظـــل سجينهـــا علـــى الرغم من وصفه لها بأنّها «النبل الأوحد» . فهو يجعل من المشكلات الحياتيه مظهراً من مظاهر الألم الذي يلف حياة الإنسان . وهي دون أدنى شك نظرة مليئة بالسوداوية ولكنها لا تنعزل بأيّ حال عن نفسيته المصابة بالكثير من الإحباطات بدءاً من المستوى الأسري . فالتمزق الشديد الذي عانى منه من جرّاء زواج أمه من الجنرال أوبيك ومشاركة الأخير في قلبها جعل بعض النقاد يتهمونه بعقدة أوديب . وعلى الرغم من صحة أو عدم صحة هذا الزعم إلا أنّ سوداوية مزاجه ونفسه المترعة بالحسرات التي انعسكت على قاموسه اللغوي الذي تزخر مفرداته بكلمات مثل الحزن، الضجر، الظلمات، الكهوف، الهاويات، المخلوقات الخرافية، الدهاليز المظلمة، المقبرات، الموت، الدود، السم، السكين، الخنجر، الجرح،

الألم وما إلى ذلك من هذه المعزوفة المرعبة يرده بعض النقاد إلى الصدمة العاطفية التي تعرض لها في صغره من ارتباط أمه بالجنرال أوبيك .

غير أنّه في حقيقة الأمر لم يكن شارل بودلير شخصاً سوى العقل. فقد جاء في إحدى اعترافاته ما يلي : كان جميع أسلافي مصابين بالجنـــون أو الهـــــوس ... وقد مات جميعهم كضحايا لانفعالاتهم المختلفة «انظر سايمونز أرثر : خطابات بودلير لأمه». كما كتب أيضاً عن نفسه الكلمات التالية «كان لديّ شعور غريب بالعزلة على الرغم من وجود أسرتي ورغم بقائي دائماً لوحدي أو حتى بين أقراني من الأطفال» «نفس المصدر» غير أنّ العقلاء بالنسبة لشاعرنا ليسوا أفضل حالٍ من المجانين.

إلا أنّ ذلك لم يكن العامل الوحيد في تشكيل نفسية بودلير وملئها بالضجر. فقد لعب عصره هو الآخر دوراً هاماً في ذلك، كما لعب نفس الدور بالنسبة لنفسيات العديد من مبدعي زمانه في أوروبا القرن التاسع عشر، التي جعلت منها الثورة الصناعية وحمى التزاحم من أجل المستعمرات مجتمعات تطفر من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية بعلاقات إنتاجها الجديدة، وتحكم الآلة فيها وتعقد حياتها الاجتماعية والطبقية والقبح الذي خبرته المدن والتمدد والذي عرفته أطرافها. وقد أفرز كل ذلك الكثير من الحركات الرافضة . منها من آثر العودة إلى الطبيعة والارتماء

في أحضانها كالحركة الرومانتيكية، ومنها من آثر الخروج على قيم ونظم المجتمع الرأسمالي الآخذ في التشكل والتمرُّد عليه بالاستغراق في الجنس وتعاطي المخدرات، وهي مجموعة من الشعراء عرفت في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشعراء الرذيلة. وقد ضمت تلك المجموعة عدداً من شعراء فرنسا حينذاك مثل بودلير وأرثر رامبو وفرلين. كما ضمت إدجار بو الشاعر الأمريكي، وأسكار وايلد الروائي، والكاتب الإنجليزي صاحب رواية «دوريان قراي» التي حوكم من أجلها بتهمة الخروج على القيم الأخلاقية للمجتمع الفيكتوري. وهي نفس التهمة التي لحقت بمعاصرة شارل بودلير في باريس عام ١٨٥٧م والتي علق عليها بودلير بقوله: «لم يكن بوسعي أن أكتب بطريقة غير تلك التي كتبت بها، إذ أنّ ما كتبته كان انعكاساً صادقاً لنفس مضطربة غائصة لقيعان الرذيلة». بالإضافة إلى ذلك فإنّ الثورة الصناعية الضخمة التي عرفتها أوروبا آنذاك قد جعلت الكثير من الشعراء والكُتّاب والفنانين ينزوون قليلاً عن العالم الخارجي، وينغمسون في عالمهم الخاص بهم بعيداً عن الرعب الذي تسببه الحياة الحديثة حتى لا تصلهم سوقية الرجل العادي. وقد شهد بودلير وأبناء جيله من الشعراء والأدباء والفنانين بزوغ فجر عصر البخار ذلك الفجر الكاذب المضاء بالغاز الصاخب الضجيج بصوت الماكينات والإعلانات .. عهد

انعدم فيه الوفاء وزادت فيه الرشوة والفساد . وقد جاء في حديث لأوسكار وايلد قوله :

«إنّ هذا العالم شيء مخيف وأنّ الخطيئة الوحيدة التي لا تغتفر فيه تسمى : «الضجر». وقال كما قال أيضاً بودلير: « أن يكون الكتاب منسجماً مع الأخلاق العامة أو لا يكون لا يهم كثيراً ما يهم هو أن يكون كتاباً جيداً أو رديئاً » أوسكار وايلد: صورة دوريان قراى ص ٢٥٩ .

وقد أراد بودلير كما أراد أوسكار وايلد أن يحرر الإنسان بجعل الفنان المثال المحتذى لذلك . ولتحقيق هذا الهدف فإنّ على الإنسان حسب مذهبه أن يبحث عن المتعة الحسية والجمال في جميع أشكاله كان ذلك خيراً أم شراً . لأنّ الفن بالنسبة له لا علاقة له بالأخلاق وأنّ كل الفنون ما هي إلا مظهر خارجي ورمز. وأنّ من يغوصون تحت سطحها إنّما يخاطرون بأنفسهم لأنّ الفن يعكس المشاهد وليس الحياة. «وإن اختلف النقاد حول تقييم عمل إبداعي ما فإنّ ذلك يعني أنّ المؤلف كان متسقاً ومنسجماً مع نفسه» . وقد قال جان بول سارتر بأنّ بودلير كان ممتلئاً بذاته إلى درجة الفيضان وأنّه ينتمي كثيراً إلى شخصه فقط لكي يتسنى له التصرف كما يهوى والغوص عميقاً في نفسه إلى درجة الضياع . وقال عنه كذلك بأنّ حصافته الفطرية لم توظف من أجل التحقق من أخطائه ولكن من أجل

الامتلاك النهائي «للأنا» بواسطة «الأنا» . لهذا لم يكن إلا الشاهد الوحيد على نفسه، ومن هذا المنطلق فهو يحاول دائماً أن يكون جلاد نفسه بنفسه، إذ أنّ الألم والعذاب يولد ثنائية وثيقة الارتباط ببعضها البعض يستحوذ عبرها الجلاد على الضحية. وبما أنّ بودلير لم يستطع رؤية نفسه فلا أقل من أن يغوص في جراحه كما تغوص المدية في الجرح، وذلك بأمل الوصول إلى العزلة التامة والعميقة التي ينشدها والتي تشكل الطبيعة الحقيقة لتكوينه النفسي والعصبي «سارتر : مقدّمة : أزهار الشرّ ١٩٦٤م ».

وقد كان لعصبيته وتقلبات مزاجه السبب الأساسي في احتقاره للأخلاق والقيم البرجوازية وضيقه بما يصفه «بالغباء»، وقد قاده كل ذلك إلى سلسلة من المشاجرات مع أسرته وأصدقائه وشركائه .

رغم كل ما سبق، وربما بسبب كل ذلك فقد كان بودلير مغرماً بحياة الدعة والراحة وباغتناء فاخر الثياب والأثاث . كما كان عاشقاً للتجول والتسكع في الطرقات وارتياد المقاهي والالتقاء بالشعراء والأدباء والفنانين فيها، فاغترف من ليل باريس كل انحرافاته من إغراق في شرب الكحول وتعاطي الأفيون والحياة البذخية التي أضاعت كل ما ورثه من ثروة وكبّلته بالديون طوال حياته . ولهذا كان شخصاً بالنسبة للعديد من

شعراء عصره مصاباً بما يعرف «بمرض النّساك» أيّ ضعف الإرادة الذي كان سبباً في الكثير من انحرافاته. وكان مدمناً للتشرد والبوهيمية في حواري الحي اللاتيني بباريس وهو المناخ الذي ألهمه العديد من قصائده . ولعل من البديهي أن نقول بأنّ الشاعر – أيّ شاعر هو مخلوق مغامر غاوياً للحرية – يبقى جسده حراً طوع حواسه، وحواسه حرة لتنجذب نحو تلك الجهة الغامضة فيه بكل ما يسكنها، ويتحرك فيها من أصواتٍ لا تحقق لشعره دون الوصول إليها ولا وصول إليها دون الفناء فيها بما يشبه ذوبان الجزء في الكل عند المتصوفة «راجع نوري الجراح نفس المصدر».

بودلير والرحيل والبحر والعطور

كان بودلير أكثر شعراء عصره افتتاناً بالرحيل والأسفار، إذ أنّ توقه الشديد للهرب من نفسه ومن القرن الذي عاش فيه جعلته في حنين دائم للسفن، فهو يرى فيها الجلال والبهاء والوسيلة التي يهرب بها إلى الجزر النائية والبحار العميقة :

فعندما تمشين محركة الهواء بتنورتك الواسعة الفضفاضة.

تتركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تخلفه السفن المبحرة.

جميلةً ومزهوةً حينما تمخر العباب ...

ومنزلقةً في اليم بأشرعتها المليئة بالرياح ..

في إيقاعٍ هادىءٍ، كسولٍ وبطيء.

وعلى الرغم من أنّه كان مقرراً أن تحمله السفينة في رحلة بحرية طويلة إلى كلكتا في الهند رتبها له الجنرال أوبيك بأمل أن تعينه على تغيير أسلوب حياته ومزاجه الحزين وأفكاره السوداوية، إلا أنّه ما لبث أن غادر السفينة عندما رست في جزيرة الرينيون مؤثراً العودة إلى فرنسا . فقد كره البحر ورفاق رحلته على الرغم من أنّه لم ينس طوال حياته الومضات المدارية التي تركت بصماتها في الكثير من أشعاره ، وعلى الرغم من حبه للبحر الذي يغوص في مياهه لكي يغوص في أعماق ذاته ملامساً الركن القصي المظلم في دغل أحاسيسه الذي تنطلق منه شارات الإبداع والتوهج والغمغمات الخفية التي تشابه أصوات حوريات البحر عند هومريوس .

أيّها الإنسانُ الحرُ الطليقُ إنّكَ مغرمٌ بالبحرْ ...

فالبحرُ في حركته اللانهائيةِ وصفحتهِ الوضاءةِ المصقولهْ ..

مرآة تنعكس عليها روحكْ ..

التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرْ

ويقول في قصيدةٍ أخرى :

عشتُ زمناً طويلاً داخل الأروقةِ الممتدهْ ..

حيث تسكُبُ الشموسُ البحريةُ آلاف النيرانْ
فتنتصب أعمدتها الفخمةُ الملوكيهْ..
جاعلةً من المساء كهوفاً بازلتيهْ ..
فاضطراب الموج في حركته الدائبة يعكس صفحة السماءْ
مازجاً في صورة احتفاليةٍ روحيهْ ..
أصداءه المتناغمة وموسيقاه الثريهْ ..
بألوانِ الطيفِ الزاهيةِ المنبعثةِ من عينيَّ .

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

هنالك عِشْتُ غارقاً في اللذات الهادئهْ
في قلبِ الشفق والأمواجِ والبهاءْ ..
وفي وسطِ الأرقاءِ التعساءْ ..
العراة المشربين بالروائح النفاذهْ ..
المرطبين جبهتي بسعفِ النخيلْ ..
المعمقين في كياني الأسرار المؤلمة التي تضنيني

وقد ناضل بودلير كثيراً عبر الارتماء في أحضان الأحلام، ومن خلال السخرية المريرة اللاذعة للخروج من متاهة روحه المتصدعة وقلبه المحبط المثقل بالهموم. لهذا انكفأ على نفسه.

واتجه نحو عالم مليء بالبخور والعطور المسكرة للحواس والألوان الزاهية المدهشة والأنغام المتجاوبة في تناغم مسحور .

وحينها سأحلم بآفاقٍ زرقاء ومضيئهْ ...

وبحدائق ونوافير باكية على تماثيل المرمرْ.

فيقول في قصيدة بعنوان «عطر» :

هل استنشقت ملء رئتيك أيّها القارىء

هالاتِ عطرٍ يفوح في أرجاء معبد ... ؟

أو من محفظةٍ للمسك مفتحةِ الجنباتْ .. ؟

إنّه سحرٌ عميقٌ تنتشي منه أرواحنا المبهورهْ .

ويعيد ماضي أيامنا ليعانق حاضرها في لحظاتٍ قصارْ

كحال المحب الذي يقطف من تذكارْ ..

زهرةَ حبةِ المنهارْ.

ويقول في مقطع آخر:

كان العطر يفوح من خصلاتِ شعرِها المطاطي الكثيفْ

كما يتصاعدُ الطيبُ الوحشيُ الطليقُ من فوهاتِ المباخرْ.

ويجيء قوله في قصيدة له بعنوان « العطر الغريب»:

إنّني أستنشق رائحةَ نهديكِ السخيينْ ...
وأرى أمامي شواطيء رملية تنضحُ بالسعادهْ
يجهر ضوء الشمس الساطع فيها العيونْ.
أرى جزيرةً كسولةً تَهبُ فيها الطبيعهْ
أشجاراً فريدة وثماراً تزخر بالرحيقْ
ورجالاً نحالاً أقوياءْ
ونساءً يثرن الدهشة من نظراتهنّ الجريئهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

يقودني شذاك الفريد نحو أجوائك الساحرهْ
فأرى مرافيء تزدحم بالأشرعة والصواري ..
المجهدة من أمواج البحر المتلاحقة الصخّابهْ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وحينما يفوح عطر أشجار تمر الهند المخضرهْ
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطريةٍ تداعب الأنوفْ ..
يختلط في روحي الشذى بأغاني رجال البحرْ

جان دوفال وأخريات

كان بودلير مغرماً إلى درجة الهوس بعشيقاته الزنجيات من الرقيق الذي جلبه النخاسون من إفريقيا . فقد كان يجد لديهنّ دفء الشطآن الإفريقية وشموس المدارات الوضيئة ويشم في روائح أجسادهن وأثداءهن روائح العطور النفاذة الغريبة المختلطة بروائح الكاكاو وزيت النخيل وجوز الهند، ويستنشق ملء رئتيه عبير شعورهنَّ الجعداء الكثة المطاطية الذي يحمله على أجنحة الأحلام إلى أراضي تغسلها الشموس وتعمرها الغابات وتفوح منها روائح الأسرار «إنّك تعيدين لي الشفق والسماء الشاسعة المستديرة ...» على شطآن شعرك الأزغب ذي الخصلات الملتوية المعقوفة.. «سأسكر بعمق من الروائح المختلطة..» لزيوت الكاكاو والمسك والقطران. إفريقيا البعيدة الغامضة. القارة السوداء .. تمبكتو النائية التي تلفها الأسرار ولا تصل إليها التكهنات. الكثير والكثير من الأساطير التي حملها إلى أوروبا القرن التاسع عشر الرّحالة الأوربيون، المغامرون الذين كانت توفدهم الجمعيات الجغرافية الفرنسية والإنجليزية والألمانية من أمثال مولان وريني كايي ودنهام وكلا برتون وبارت وناختيقال وغيرهم، ممن لبسوا عباءات رجال الدين المسلمين كجواز سفر وسمة دخول عبر

بوابة الصحراء الكبرى . وقد كانت عشيقته الزنجية السوداء جان دوفـال التـي أحبها كثيراً وتعلق بها «حيواناً جميلاً وكسولاً». كتب فيها أروع قصائده رغم استهلاكها معظم ثروته وخيانتها له مع أصدقائه. غير أنّها رغم ذلك صبرت كثيراً على أمزجته المتقلبة وقراءته الشعرية التي يكرهها على سماعها دون أن تفهم مضامينها . لهذا ظلت عشيقة له لمدة عشرين عاماً رغم أوقات الفتور والهجران التي كانت تعتري تلك العلاقة من وقت لآخر. وقد قال في إحدى اعترافاته بأنّه سيندم كثيراً إذا ما أقدم على فراق هذه المرأة .. فهي كما جاء على حدّ تعبيره ملهاته الوحيدة ومتعته ورفيقة دربه رغم كل الصدمات التي أصابته بها من جراء علاقاتها الآثمة مع الآخرين . انظر « Martin Turnell ».

فقد كان كل منهما في حاجة إلى الآخر . فهو يقول :

رغم ذلك أحبيني أيُّها القلب الحالي وكوني أماً ..

حتى للجاحد أو الشرير .

كوني عشيقةً أو أُختاً أو كوني العذوبة القصيرة العمرْ.

بخريفٍ بهي أو شمسٍ تأذن بالمغيب ..

ورغم كل حالات الهياج العصبي الذي يصبه على رأسها إلا أنّه ظل يحبها ويعطف عليها ويحاول جاهداً مساعدتها . وقد

ألهمته العديد من قصائد الحب التي كانت من أرق وأعذب ماكتب من شعر . ففي إحدى قصائده يقول مخاطباً جان دوفال: :

إنّني أعبدك يا طيشي الجميل وسُمي القاتل.

بكلِ انقطاع وإخلاص الرهبانِ لمعبوداتهمْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

الصحراء والغابة تعطران خصلات شعرك الأجعد الخشنْ

ورأسك المليئة بالطلاسم والأسرارْ..

تترلح على مقعدك الوثير حيث يضوع العطرْ

كما تفوح العطور من المباخرْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّك فاتنةٌ كالمساءْ..

يا حوريتي المظلمة الساخنهْ

وإنّ كافة المشروبات المركزة المثيرة للشهوهْ ..

لا تكافيء هذا الكسل الجميل الذي تبدينهْ.

يا من تجيدين المداعبات التي تنفخ الروح في الأموات.

إنّك تمزّقيني يا سمرائي الجميلهْ

بضحكتك الجريئة الساخرهْ

وتلهبي قلبي بعينيك الناعستين كالقمرْ

ويقول أيضاً في جان دوفال:

إنّني أتعرف على زائرتي الحسناءْ ..

إنّها هي .. سوداء ... ولكن باهرة الأضواءْ.

وعلى الرغم من كل ما تقدم ذكره، فإنّ بعض النُقاد يعتقدون بأنّ قصائد بودلير الموجهة إلى جان دوفال لم تكن قصائد حب بقدر ما كانت قصائد جنس، إذ لم يكن محباً حقيقياً حسب اعتقادهم بقدر ما كان يجيد المداعبات التي تثير الشهوة لممارسة الجنس . غير أنّ الكثيرين يعتقدون في الوقت ذاته بأنّ بودلير قد استعاض بالفن عن الجنس و بالحب في معناه العريض كجوهرٍ لا يموت ولا يعرف الحدود أو الآحادية.

غير أنّ مارتن تورنيل يرى أنّ بودلير قد اختار جان دوفال لتمكنه من ممارسة الجانب «المرضي» من نشاطاته الجنسية ، **فأصبحت** تبعاً لذلك « المخلوق الغريب» الذي يمكن أن يعبده ويمارس معه كل أفعاله الغريبة «انظر Martin Turnell».

ويرى تورنيل أنّ الجمع بين جان دوفال والأراضي التي زارها

في ما وراء البحار أثناء رحلته البحرية إلى جزيرة الرينيون حيث الشموس المدارية والشطآن التي يغسلها الضياء، كان القوة المحركة لماكينة الخلق الشعري في نفس بودلير . وقال مؤكدا بأنّ جان دوفال قد لعبت دور المنشط في شحذ خيال هذا الشاعر.

ولم تكن جان دوفال الوحيدة التي هام بحبها وألهمته شعراً عذباً. فقد التقى « في سرادق أغصان الأشجار الأرجوانية» و «عند هينمات أشجار جوز الهند التي تنثر النعاس في العيون » بامرأة خلاسية «كريول» في جزيرة الرينيون ذات سحر أخاذ «وفتنة لا يعرف لها مثيل» . وهو يؤكد بأنّها إذا جاءت إلى فرنسا أرض السين واللوار «ستكون زينة للبنايات الفخمة العتيقة وستزرع آلاف القصائد في قلوب الشعراء». فهو يخاطبها بقوله:

إذا ما ذهبت أيّتها السيدة إلى أرض المجد الحقيقي .

عند شطآن السين واللوار الأخضرْ .

ستكونين زينة للبنايات الفخمة العتيقهْ .

وستزرعين في الظلال المعتمهْ ..

آلاف القصائد في قلوب الشعراءْ ..

المذعنين لحسنك الآسر كما يذعن في بلادكم الأرقاءْ .

الضجـر والزمن والميتافيزيق

كان بودلير يبني بأخيلته قصوراً فيما وراء البحار ، قصوراً تعمرها نساء شبقات وقطط غامضات تشع من أعينها الكثير من النظرات الغامضة المخيفة . ويهبط إلى قاع الجحيم باحثاً عن الأزهار التي يعشقها إلى درجة الهوس . ويستخلص الجمال من الشر والقبح كما يستخلص الكيميائي الذهب من الصخور. ويستل لحظات السعادة والمرح من اندلاق المصائب على رأسه المسكونة بالهواجس . فقد جاء قوله في قصيدة له بعنوان «الصوت»:

أحب بالحنان كله البحر والصحراءْ .

وأضحك في المآتم وأبكي في الأفراحْ

أيّتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والآذانْ ....

ها قد جاءكِ ميتٌ حرٌ وسعيدْ

والموت بالنسبة لبودلير هو العزاء الذي يدفع للحياة ، وهو أملها الوحيد والإكسير الذي يتفرعها ويهبها المقدرة على السير حتى (المساء) . فهو – أيّ الموت بالنسبة لبودلير– خلاص من الضجر الذي ينخر أيامه، وانطلاقٌ وحريةٌ وسعادةٌ لروحه من قيود الطين، وعنت الحياة التي عاشها منفياً داخل مجتمعه شبيهاً بطائر

البطروس أمير الآفاق الذي يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد.

إلا أنّ ثقل جناحيه الضخمين المجرورين يكبّل خطاه ويجعله محل سخرية «الأوغاد» . وبودلير هنا أكثر عمقاً وأبعد فلسفة من الشاعر الإنجليزي كولردج الذي ذكر طائر البطروس في قصيدة له بعنوان الملاح العجوز . فبينما يتخذ بودلير من هذا الطائر رمزاً لمكانة الشاعر بين « الأوغاد» يستخدمه كولردج لتكملة فسيفساء الصور التي تذخر بها قصيدته العامرة بالملامح الرومانطيقية . ففي قصيدة بودلير يشبه شاعرنا في مرارة حال الشاعر أيّ حال نفسه وسط أبناء جلدته بحال هذا الطائر البحري العملاق، عندما ترمي به المقادير على ظهر سفينة فيصبح ملك الآفاق هذا ملهاة وسخرية لرجال البحر.

وما أن تَحط قدميها على سطح سفينهْ ...

حتى تجر ملوك الآفاق هذي ...

في رعولةٍ تدعو للرثاءْ ..

أجنحتها الضخمة البيضاءْ

كما تنجر المجاذيف على جانبي قاربْ .

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّ الشاعر شبيه بأمير الآفاق هذا.

يرتاد العواصف و يهزأ من نبل الصيادْ

منفي في الأرض بين الساخرين والأوغادْ

يعوق خطاه ثقل جناحيه الضخمين المجرورينْ

كان له أيضاً شعور حاد بالزمن وضرورة استغلاله إلى أقصى حدّ ممكن ، لأنّ الزمن يأكل الحياة كما تأكل النار الحطب ويقوي من دماء ضحاياه المسفوحة. ولهذا وجب على المرء أن ينغمس في الملذات الحسية لأنّ العمر محدود والموت متربص على الأبواب ، وعبر هذه الملذات يستطيع السمو إلى المطلق و إلى ما وراء الوراء وبهذا تصبح هذه الانحرافات ضرباً من التصوف. ففي قصيدة له بعنوان «ساعة الجدار» يجيء قوله :

تذّكّروا أنّ الزمنَ لاعبٌ بارعٌ ونَهِمْ ..

يكسبُ دون غِشٍ وفي كل الأوقاتْ

تذكروا أنّ الأيام تتناقص والليالي تزدادْ

واللجةُ ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافْ

وفي قصيدة أخرى يقول :

أعلنت الساعة منتصف الليلْ ...

ساخرةً ومستهزئةً بنا .

تسألنا عما صنعنا في يومنا الذي انقضى !!!

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وفي قصيدة له بعنوان «العدو» يقول :

ها أنذا قد لامستُ خريفَ الأفكارْ

وتوجبَ عليَّ استخدام الفأسَ والمعولْ

لأتمكن من حيازة الأراضي المغمورة من جديدْ

رغم الأخاديد العميقة التي تنخرها المياه كالقبورْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أيّتها الرائحة .. أيّتها الرائحة .. إنّ الزمنَ يأكل الحياةْ

والعدو الغامض الذي يقضم قلوبنا

ينمو ويقوي من دمائنا المسفوحةْ

ويقول أيضاً مخاطباً الزمن :

إنّك تلتهم كل لحظة قطعة غالية من مباهجنا المدخرة للمواسم المقبلاتْ.

وعلى الرغم من حمأة الرذيلة التي غاص فيها شاعرنا حتى القيعان والانحرافات التي قادته إلى إدمان الخمر وتعاطي الأفيون والانجراف في الجنس إلى درجة أقعده فيها مرض السفلس، إلا أنّ

شارل بودلير كان في الوقت ذاته شاعراً ميتافيزيقياً وعميق التدين رغم عدم احترامه الظاهري للمقدسات مما أزعج كثيراً رجال الدين . فقد كانت معرفته للأشياء تنطلق من رؤية صوفية عميقة ومتجذرة في ذاته . فاستطاع عبر رؤاه صنع عالم خاص به شاسع كالروح وزاهي كالأحلام يغوص من خلاله لماهية الأشياء ليعكسها صوراً مركبة بديعة الشكل والمحتوى. وكان عالمه الخاص به يهبه دنيا من الانعكاسات المتحررة عن المادة متمثلة في الإشارات التي تربط بين الحقائق كما تربط بين الهواجس وعالم ما وراء الطبيعة . لهذا كان موقناً بأنّ الحقيقة لا توجد إلا في الحلم وأنّ الأشياء المادية لا تقود إلا للحقيقة المادية الماثلة، أما الحلم فإنّه يقود إلى ما فوق الطبيعة وفوق المألوف . ولكي يصل شاعرنا إلى هذه المرحلة من التفكير حيث يصير العالم المادي أكثر مدلولية كان عليه أن يعيش وسط الأحلام والذكريات ويستخلص اللحظات السعيدة من بين المآسي والضجر كما جاء في حديثنا آنفاً . إذ لم يكن الطريق الذي يقوده إلى الإشارات المفتاحية لعالم الميتافيزيق بأيّة حال هو الوجود المادي للأشياء ، وإنّما الحس المرهف والشفافية المطلقة والجهاز العصبي الكامل العرى. فالعطور النفاذة التي تداعب أنفه تمنح روحه وملكاته الإبداعية التوهج والانطلاق والمخاض الشعري . فهو يقول في قصيدة بعنوان « قارورة عطر »:

إنّها ذات عطر قوي ينفذ من كل الأشياء

حتى لكأنّه ينفلت من جدران الزجاج

فالعطر الفواح يكشف له الأسرار الكامنة في جوهر الأشياء وبنفس القدر، فإنّ كافة الأحاسيس التي تخترق الإنسان حتى مخ الأعظم وتتسرب إلى أعماقه الأكثر ظلاماً تؤلم بودلير ولا تترك عصبة من أعصاب جسده دون ارتجاف. إذ أنّ اللذة تختلط لديه بالعذاب وكلاهما وسيلة للولوج إلى الكنه الحقيقي للعالم وإلى السر الذي تنطوي عليه الأشياء. فهو لا يصل إلى المعرفة عن طريق العقل أو عبر الأفكار التجريدية ولكن عن طريق القلب والحدس المرتبطان بالدين وعالم ما وراء الطبيعة. وهو في ذلك شبيه بباسكال الذي أعيته الحيل للوصول إلى حقيقة الحقائق من خلال العقل فاتجه إلى القلب والحدس مطلقاً قولته الشهيرة «لتصمت أيُّها العقل الأحمق». لهذا كانت كافة مظاهر الطبيعة بالنسبة لبودلير ما هي إلا رموزاً لوجود اللّه ومن خلال تأملها والتفكر فيها يمكن الوصول إلى الخالق.

تقدست يا إلهي ، يا واهب الألم المقدس ...

ترياقاً مطهراً لخطايانا

ورحيقاً شاحذاً فينا القوة لتلقي الإمتاع المقدس.

فاللّه يختص الشاعر بمكانة مميزة و يدعوه لحضور عرس الأضواء ، والاحتفال السرمدي الذي لا تعادل بهاءه لألىء البحار والحلى المفقودة من عهد «تدمر القديمة» لأنّه منسوج من الأنوار الشعشعانية الخلابة، فيقول :

اعلم أنّك تختص الشاعر بمكانة مميزهْ ..

في صفوف السعداء من زمرة القديسينْ .

وإنّك قد دعوته للاحتفال السرمديْ ..

للعروش والفضائل والملكوت المطلقْ .

فالعطور والألوان والأصوات والصور يحس بها بودلير كأشكال متعددة للروح . ولهذا فالوصول بالنسبة له يتم عبر الأحاسيس كما يتم من خلال الرغبات الشهوانية والأفعال الشريرة . وعلى الرغم من أنّ هذا الطريق مدان حسبما تواطأ عليه البشر، إلا أنّه بالنسبة لشاعرنا يفضي في نهاية المطاف إلى عالم الروح إذ أنّ الوصول إلى عالم الأضواء يتم بالنسبه له عبر عالم الغيهب والدياجير والأحاسيس والأفكار المظلمة. وهذا ضرب من ضروب الاشتغال بعلم الباطن. ألم يجمع الشيخ الهميم بين الأختين كما جاء في طبقات ودْ ضيف الله أو يقوم البعض بأفعال فاضحة كما يفعل « الملامتية» ، وبقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق كما فعل الخضر عليه السلام . فكل ذلك لون من ألوان علم الباطن كأخذ

النفس بالشدة ولبس الصوف وأكل الجراد البري في الصحراء . وقد وصل بودلير عبر كل ذلك إلى وحدة الوجود . فجميع الطرق وكافة المذاهب والأديان تقود إلى حقيقة الحقائق وهو في ذلك شبيه بالسهروردي الذي مات شهيداً على أعواد معتقداته كما مات هو الآخر على صليب ضجره بين الآخرين . من جانب آخر فهو يدرك معنى الخطيئة ومعنى السقوط والانزلاق إلى حمأة المعصية، ويعرف كيف أنّ الشيطان يمسك بالخيوط التي تحرك أفعاله وتقود خطاه نحو هوة الجحيم :

إنّ خطايانا عنيدة وتوبتنا جبانهْ ..

وإنّا ندفع ثمناً باهظاً لقاء اعترافاتنا ..

ثم نعود ثانية فرحين عبرَ نفسِ الطريقِ الموحلْ

ظانين أنّ دموعنا الصفيقة كافيةٌ لغسل أدراننا

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

على وسادة الشر إنّه الشيطان ذلك المخلوق القديرْ ..

الذي يخترق عميقاً أرواحنا المسحورهْ

فيتبخر معدن عزائمنا الصلب بفعل ذلك الكيميائي البارعْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّه الشيطان الذي بيديه الخيوط التي تحركنا

نحو كل الأفعال القبيحة التي تسير إليها أقدامنا

وتنحدر كل يومٍ جديدٍ خطواتنا نحو الجحيمْ

دون وجل وعبر الظلمات التي تفوح منها روائح العفنْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

لهذه الاعتبارات يحاول بودلير دائماً الصعود إلى الخالق، والتمرد على شراك المادة فيوجه الرمزي نحو السماء. ولهذا اتسمت بعض قصائده بالروح الدينية الإيمانية والطمع في العفو الإلهي، ويرى Jean Prevost أنّ بودلير ظل يبحث عن الوحدة عبر التنوع، وأنّ المجهودات التي بذلها تؤكد مدى امتزاج ذاته ومظاهر الكون الأخرى، بالذات الإلهية لهذا يصبح كل شيء بالنسبة له شاهداً على وجود اللّه وطريقاً يقود إليه «ص ٢٦». فهو لهذا السبب يوجه شعره للعاطفة والأحاسيس كما ذكرنا آنفاً مما يجعله مليئاً بالرموز. فعالم الانعكاسات يصبح عالماً للرموز حيث كل إشارة انعكاساً لشيء آخر. فالروح يمكن أن تسافر على خصلات الشعر وعلى أجنحة العطور حيث يمكن رؤية كل شيء والإحساس بكل شيء.

أيُّها الشعرُ الكثُ المتموجُ خلفَ العنقْ ..

أيتها الخصلاتُ، أيّها العطر المليء باللامبالاهْ ..

أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساءْ ..

المليء بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلاتْ ..

أريدها أن ترف في الهواء كما ترف المناديلُ على الشرفاتْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

آسيا المجهدةُ وإفريقيا ذات الغليانْ

كلُّ العالمِ البعيدِ الغائبِ شبيه الأمواتْ ..

يحيا في أعماقك السحيقة أيّتها الغابة المليئة بالنسغ والرحيقْ.

ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى.

تسبح روحي يا حبيبتي في عطرك الجميلْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أيّتها الخصلات المحكمة الضفرْ ..

كوني المصيدة التي ترفعني ....

لأنّك تحتوين - يا بحر الأبنوس - على أحلام مدهشةْ ..

من الأشرعة والمجاذيف واللهيب والصواري

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ويقول في قصيدة أخرى :

ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتحِ الأزهارْ ..

حينما تفوحُ كل زهرةٍ كما يفوحُ العطرُ من مبخرْ ..

وتختلط الأنغامُ بالشذى مخلفةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيمِ المساءْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كل زهرةٍ تفوحُ كالعطورِ من المباخرْ ..

والكمنجةُ ترتعشُ كالقلبِ المترع بالأحزانْ

ويقول في قصيدة أخرى مخاطباً حبيبته:

إنّ عينيك وابتسامتكِ وقدميكْ ..

قد أشرعت لي أبواب العالم اللانهائي الذي أعشقه.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وتصبح العطور لديه شيئاً مادياً محسوساً وطرياً كلحم الأطفال وكأعالي الغابات ... وذات لون أخضر كالبراري !!!

والرغبة في بلوغ المطلق تجد ما يروى غليلها أيضاً في الفضاء الرحيب وفي الغابات والبحر والعطور والنساء. فهذا «البحر الأبنوسي» يحتوي على أحلام مدهشة وعلى دفق من العطور والألوان والأصوات. فعبر الأحاسيس المرهفة يمكن الوصول إلى اللذة شبه المقدسة ومن المادة تنبعث الروح بيضاء صاعدة للسماء.

فوق المستنقعاتِ وفوقَ الأوديهْ ..

فوقَ الجبالِ والغاباتِ والسحابِ والبحارْ ...

وخلف الشمسِ والأثيرْ ..

ووراءَ الأجواءِ المرصّعةِ بالنجومْ ..

تتحركُ روحي في خفةٍ ورشاقهْ ..

كما يفعل السّباحُ الماهرُ بين الأمواجْ ...

وتعبرُ في مرحٍ غامرٍ هذا الفضاءَ الرحيبَ العميقْ.

سعيدٌ ذلك الذي يستطيع بجناحين قويينْ ..

أن ينطلقَ نحو مروجِ الضوءِ الصافيةِ الشفافهْ .

وسعيدٌ ذلك الذي يُحوّمُ فوق الحياهْ..

ويفهمُ من دونِ ما عناءْ ..

لغةَ الأزاهيرِ وصمتَ الأشياءْ .

خطاه نحو الجحيمْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

ففي هذه الأبيات التي أوردناها نرى بودلير غارقاً في بهجة وحبور لا حدود له، يتحرر فيه من القيود الأرضيّة التي تكبله ومن العقبات التي تقف أمامه والكبوات التي تقود مسيرة. فالحلم بالتحليق في حدّ ذاته محاولة اللاوعي للتخلص من الحفر التي يسقط فيها كلما حاول المشي.

«عيناه معلقتان بالسماءِ فيسقط في الحفرْ».

إنّه شاعر قابع في الثرى بينما تحلق أفكاره في الثريا. ولكن، على الرغم من حركة الصعود والرقي إلى سماوات علا تجعله يحلم بالأبدية، وإلى الفضاء الرحيب والبحار الشاسعة، إلا أنّنا نرى في الوقت ذاته حركة هبوط نحو الأسفل والغوص في ما وراء الوراء. فهو حينما يضم حبيبته إلى صدره يخيل إليه بأنّه يستنشق عطر الدماء التي تجري في عروقها: عندما أحتويكِ بذراعي يا مليكةَ المعبوداتْ ..

يُخيلُ إليَّ أنني أستنشق عطرَ الدماءِ التي تجري في عروقكْ.

وعندما ينكفيء على حبيبته ليشرب حتى الارتواء من سحر عينيها السوداوين، فهو في الوقت ذاته يغرق كل يوم جديد وتنزلق خطاه نحو الجحيم.

وعلى الرغم من أنّ السماء الصافية والفضاء الشاسع تحرران روحه الحزينة المليئة بالضجر، إلا أنّ السماء تتشح في بعض الأحيان بظلام كثيف يتحول إلى هوة عميقة لتبتلعه. فهي شبيهة بكهوف الحزن التي لا قرار لها وتارة أخرى شبيهة بالقيود.

غير أنّه رغم كل شيء يجد الراحة في ظلام الليل الدامس ويتمرغ في «ستائر الظلمة المنعشة» ليريح نفسه من ضوء النهار بجلبته وضوضائه .

إنّه محكوم عليه بالأشغال الشاقة، فهو شبيه برسام «حكمت عليه

الآلهة بالرسم في الظلام ». لهذا فهو ينسحب إلى العالم السفلي لينكفىء على ذاته غير قادر على النظر إلى الأمام للعثور على الطريق القويم . فهو فريسة للوساوس والضجر الذي يعتصر قلبه كما يفعل المرء «بالورقة الملقاة في سلة المهملات».

إنّه شبيه بالبحر الذي يتأمل فيه روحه وتتأكد له حقيقة أنّ روحه ليست أقل مرارة من أجاج الملح. إنّه يمارس الغوص في البحر لكي يغوص في ذاته. وهو كالبحر مظلم ومنكفىء على أسراره.

فالبحرُ في حركتهِ اللانهائيّة وصفحتهِ الوضاءةِ المصقولهْ ..
مرآةٌ تنعكس عليها روحكْ
التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرْ
إنّك مفتون بالغوص إلى أعماق ذاتك

أما الطبيعة فهي بالنسبة لشاعرنا معبد وعالم من الانعكاسات وغابة من الرموز. فهو يلتقط أحاديثها المتداخلة المتشابكة دون أن يجرؤ على فك طلاسمها ، وهي في كثير من الأحيان إشارات غامضة وسريّة. فالأسرار التي ينطوي عليها الكون مضافة إلى التقزز والاشمئزاز الذي يخلفه الواقع المضجر في نفس بودلير فضلاً عن المرض الذي شل حركته وحطم نفسه، هي التي جعلته يحس بالحاجة الماسة لما هو روحي والتي قادته في نهاية المطاف إلى الإغراق في الرمزية المليئة بالإشارات. فروحانيته المفرطة التي أفرزها هذا الواقع المرير قد جعلته يبصر انعكاس ما هو خفي على ما هو مرئي وما هو أثيري معنوي على ما هو محسوس مادي. وقد أغرقه كل ذلك في قدرية وجبرية لا حدود لهما. فلا يقرر

شيئاً لئلا يفقد أشياء أخرى في ظلمات الوجود ولا يذهب في هذه الظلمات المفضية إلى عالم الميتافيزيق بأكثر مما يجب على الإنسان بلوغه، فهي تابو لا يجب تجاوزها وسبر أغوارها وسدرة منتهى يجب التوقف التام والنهائي على أعتابها خوفاً من الاحتراق كما يحترق طائر الفينيق على أعتاب بعلبك.

خاتمة

بعد هذا الطواف والمسح الذي أردنا به الكشف عن بعض الملامح الشعرية والجوانب النفسية لشاعر الخطيئة والفجيعة والتمرُّد شارل بودلير الذي خرجت من تحت معطفه المدرسة الرمزية في الشعر، فإنّنا نقول بأنّ حياته كانت مأساة بطولية لرجل حاصرته الكثير من الإخفاقات التي ناضل بشراسة للخروج منها . فالقلق العميق من مواجهة الحياة ومن مواجهة الموت والشعور بالخطيئة والشعور بالتمرُّد في آنٍ واحد قد تركت بصماتها واضحة على كل نتاجه الشعري . وبصرف النظر عن جدلية الخير والشر التي أدينت بسببها بعض قصائد ديوان «أزهار الشر»، إلا أنّ بودلير قد قدم للعالم شعراً جديداً جميلاً يصيب بالدهشة من أول الالتقاء به. شعراً كان له الفضل في تثوير حاسة التلقي والإمتاع لدى القارىء وفي طريقة التفكير والكتابة في غرب أوروبا. فقد أصبحت نظريته الجمالية نقطة تحول في تاريخ الشعر والأدب والفنون التشكيلية بصفة إجمالية، وكما قال فيكتور هوجو فقد خلق بودلير «رعشة جديدة في الشعر» تصيب المتلقي من أول لقاء

به. نخلص من كل ذلك إلى ما قال ISHERWOOD من أنّ بودلير كان فيلسوفاً في الحب رغم ضجره بالنساء، وثورياً رغم احتقاره للجماهير بسوقيتها وضوضائها، وأرستقراطياً رغم اشمئزازه من الطبقة الحاكمة .. فقد كان نسيج وحده شاعراً متفرداً عظيماً وفناناً مبدعاً كبيراً.

كلمة أخيرة، أودُّ القول بأنّ ليس في كثير مما قمنا بتعريبه من أشعار بودلير ما ينقل في تطابق تام النص الأصلي باللغة الفرنسية . ونعترف كما ذكرنا سابقاً بأنّ ترجمة الشعر من لغته لأم إلى لغة أخرى تفقده الكثير من الحرارة والعمق والعذوبة التي يتحلى بها . لهذا فإنّ ما قمنا به عمل لا ندّعي له كمالاً ولا يحق لنا فكلنا خطاؤون إلا من عصم اللّه. ولك العتبى حتى ترضى .

مراجع

1/ Encyclopidea Britanica.

2/ Balba "Abd Elhalim": Journal of Arab Cutture 1975.

3/ Durry "Marie-Jeanne": Les Fleurs du Mal "1972" Journal 1957.

4/ Isherwood "christopher": Charles Baudelair: Intimate.

5/ Oscar Wild: Porterait of Dorian Graye.

6/ Nouri "Jarah" Al Hayat News Paper 16.12.96.

7/ Pomidou "georges" Anthology de la Poesie Francaise.

8/ Prevost "Jean": Baudelaire La Creation et L'inspiration Poetiques "Mereure France".

9/ Sartre "Jean Paul": Les Fleurs Du Mal "1967".

10/ Symons, "Arthur": Letters of Baudelair To His Mother.

11/ Turnell "Martin": Baudelare a study of His Poetry.

بعض قصائد من أزهار الشر

رسالة إلى القارىء

إنّ الغباءَ والخطيئةَ والإثمَ والبخلْ ...
تسيطرُ على أرواحِنا وتعتملُ أجسادنا
وإنّنا لنغذي حسراتَنا الحبيبةَ ...
كما يغذي الشحاذون الهوامَ التي ترعى في أجسادهمْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّ خطايانا عنيدةٌ وتوبتُنا جبانهْ ..
وإنّنا لندفع ثمناً باهظاً لِقاءَ اعترافاتنا
ثم نعودُ ثانيةً فرحين عبرَ نفسِ الطريقِ الموحلْ ...
ظانين أنّ دموعَنا الصفيقة كافيةً لغسلِ أدراننا ..

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

على وسادةِ الشرِ إنّه الشيطانُ ذلك المخلوق القديرْ
الذي يخترقُ عميقاً أرواحَنا المسحورهْ.
فيتبخر معدنُ عزائِمنا الصُلبُ بفعلِ ذلك الكيميائي البارعْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّه هو الشيطانُ الذي بيديه كلَ الخيوطِ التي تحركنا
نحَو كلِ الأفعالِ القبيحةِ التي تسيرُ إليها أقدامنا
وتنحدرُ كلَ يومٍ جديدٍ خطواتُنا نحو الجحيمْ
دون وجلٍ وعبر الظلماتِ التي تفوحُ منها روائح العفنْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وهكذا يفعل الداعرُ الفقيرُ الذي يضاجع ويعض الثديَ الشهيدَ لعاهرةٍ شمطاء
إنّنا جميعاً نتطلع إلى لذةٍ عابرةٍ في الخفاءْ.
نعتصرها بقوة كأنّها برتقالة قديمهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

متلاحمة ومتدافعة كأنّها ملايينُ الديدانْ
أمواجَ الشياطينِ المتحركةِ في عقولنا
وعندما نتنفسُ فإنّه الموتُ الذي ينزل من رئتينا ...
كأنّه نهرٌ خفيٌ صامتُ الشكوىْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ولئن كان الاغتصابُ والسمُ والخِنْجَرُ والحريقْ ...

لم تُزوق حتى الآن بألوانٍ زاهية ورسمٍ بديع
فإنّ اللوحات الساذجة لتقوي قلوبنا
تفضحُ بكلِ أسفٍ عدم نضجنا الروحي

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ولكن بين الثعالبِ والفهود والقُمَّلِ
والقردةِ والعقاربِ والنسورِ والحيّاتْ
والوحوشِ العاويةِ الصارخةِ الزاحفهْ
داخل آثامنا الدنيئة المقززة
فإنّ هنالك من هو أكثر بشاعةً وأكثرُ خبثاً وقذارهْ
رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صُراخْ
جاعلاً من الأرض حطاماً و يبابْ
وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدة :
إنّه الضجرْ !!!
العين المليئة بالرعبِ اللاإرادي ...
الحالمة في ارتخاء على منصة الإعدام وخلف دخان النراجيلْ

وأنت تعرفه أيُّها القارىء المنافقْ ..
يا شبيهي يا أخي إنّه الضجرْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩

تحليق

فوق المستنقعاتِ وفوق الأوديهْ ...
فوق الجبالِ والغاباتِ والسحابِ والبحارْ ...
وخلف الشمسِ والأثيرْ ...
ووراء الأجواءِ المرصّعةِ بالنجومْ .
تتحرك روحي في خفةٍ ورشاقهْ
كما يفعل السباحُ الماهرُ بين الأمواجْ
وتعبر في مرحٍ غامرٍ هذا الفضاءَ الرحيبَ العميقْ ..
فالتحلقْ أيهُّا الشاعرُ في الفضاءِ بعيداً عن روائح النتن المريضهْ
ولتذهبْ لتُطهرَ نفسَك في الأجواءِ العلويةِ النقيهْ ..

مرتشفاً النارَ الوضاءةَ التي تملأ الفضاءْ ..
كما يُرتَشفُ النبيذُ المقدسْ
وخلف الضجرِ والأحزانِ الواسعةِ الممتدهْ ..
التي تثقل كاهلَ الوجودِ الضبابي ..
سعيدٌ ذلك الذي يستطيع بجناحين قويينْ ..
أن ينطلقَ نحو مروجِ الضوْءِ الصافيةِ الشفافهْ ..
محلقةً رؤاه كما تحلق طليقة القُبُّراتْ ..
وسعيدٌ ذلك الذي يُحَوِّم فوق الحياه ..
ويفهم من دون ماعناءْ ..
لغة الأزاهيرِ وصمت الأشياءْ .

الموسيقى

كثيراً ما تحملني الموسيقى كموجِ البحرْ ..
نحو نجمي الشاحبَ البعيدْ ..
وتحت سقف من الغيومِ أو في طياتِ الأثيرْ ..

أنشرُ أشرعتي وأعد سفيني للإبحارْ ...

صدري للريحِ ورئتي في امتلاءِ الشراعْ ...

أتسلقُ ظهرَ السفنِ القابعةِ خلفَ سدوفِ الليلْ ..

وأحس دبيبَ الحزنِ المتمددِ في أعماقي ...

كحزن سفينٍ معطوبٍ في وسطِ البحرْ..

الريحُ الطيبةُ والعاصفةُ الهوجاءْ ...

وهذي الأمواهُ الممتدةُ دونَ حدودْ ...

تُهدهِدُني ...

بعد أن كانت مرآةً هادئةً تعكسُ إحباطي ويأسيْ ...

عطر

هل استنشقت ملء رئتيك أيُّها القارىء ..

هالات عطرٍ يضوعُ في أرجاء معبدْ .. ؟

أو مِنْ مِحفَظَةٍ للمسكِ مفتحة الجنباتْ ... ؟

إنه سحرٌ عميقٌ تنتشى منه أرواحُنا المبهورةْ

ويُعيدُ ماضي أيامنا ليعانقَ حاضرها في لحظاتٍ قِصارْ ...
كحالِ المحبِ الذي يقطف من التذكارْ ...
زهرة حبهِ المنهارْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كان العطرُ يفوحُ من خصلاتِ شَعْرِها المطاطي الكثيفْ ...
كما يتصاعد الطيبُ الوحشيُ الطليقُ من فوهاتِ المباخرْ
ومن ثيابِ المخملِ أو الحريرْ ...
الزاهية بشبابها الغضِ وحسنها الآسرْ ..
تفوح رائحةُ الفراءِ ممتزجةً بطيبِ المِسكِ وروحِ الليلكْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الباطروس

لكي يزجون أوقاتَ فراغهم يتلهى رجالُ البحرْ
بطيورِ الباطروس تلك المخلوقاتُ البحريةُ الضخمهْ .
المرافقة الكسولة لجوابي البحارْ

حينما تشق سفنهم عُباب البحر وأُجاجَ الملحْ ..
وما أن تحط قدميها على سطحِ سفينهْ
حتى تَجُرُ ملوكُ الآفاقِ هذى
في رعونةٍ تدعو للرثاءْ ...
أجنحتَها الضخمةَ البيضاءْ ...
كما تَنْجر المجاذيفُ على جانبي قاربْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ياله من أخرقٍ وضعيفٍ هذا المسافرُ المجنحْ ..
لقد كان قبل وقتٍ وجيزٍ يكسوه البهاءْ ...
وهو الآن قبيحٌ ومثيرٌ للضحكِ وللرثاءْ .
أحدهم يمعن في مضايقتهِ بمداعباتهِ السخيفةِ المؤذيهْ...
والآخر يومىء إليه ويتبعه هازئاً من عجزهِ المهيضْ..

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّ الشاعرَ شبيهٌ بأميرِ الآفاقِ هذا ..
يرتادُ العواصفَ ويهزأ من نبلِ الصيادْ ..
منفيٌّ في الأرضِ ...

وبين الساخرين الأوغادْ ...

يعوق خطاه ثِقلُ جناحيهِ الضخمين المجرورينْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

البحر

أيُّها الإنسانُ الحرُ الطليقُ إنّك مغرمٌ بالبحرْ

فالبحرُ في حركته اللانهائية وصفحته الوضاءةِ المصقولهْ

مرآةٌ تنعكس عليها روحكْ ...

التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرْ .

إنّك مفتونٌ بالغوصِ إلى أعماقِ ذاتكْ ...

لتقبل عينيها وساعديها وينتشى فؤادك ...

بإيقاع ضرباته كما ينتشي بهذه الضوضاء الشاكية الوحشيهْ.

إنّ كليكما مظلمٌ ومنكفىءٌ على أسرارهْ

أيُّها الإنسان لم يقدر أحد على سبرِ أغواركْ .

أيُّها البحر ليس بوسع أحد معرفة الكنوز الكامنة في أحشائكْ.

إنّ كليكما غيورٌ على مكنون أسراهْ .

ورغم ذلك فقد مضت قرونٌ لا حصر لها ...

وأنتما تتقاتلان دون شفقةٍ أو حسرهْ ..

لأنّكما مغرمان بالمعارك والفناءْ .

أيُّها المتصارعان الأزليان والتوأمان الشرسانْ.

الشرفة

أمَ الذكرياتِ وسيّدةَ السيداتْ ...

يا مخدعَ مباهجي ومستودعَ أشغاليْ ...

أتذكرين بهجةَ المداعباتِ وجمالها ..

أتذكرين دفءَ الأحضانِ وسحَر الأمسياتْ ..

يا أمَ الذكرياتِ وسيّدةَ السيداتْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

الأمسيات المضاءة باحتراق الفحمْ ...

أمسيات الشرفة التي يضمخها عبير الوردْ ..

لقد كان ثديُكِ ناعماً وشهياً مثل قلبك المليء بالطيبهْ .

وكانت ثرثراتُنا التي لا تنتهي ذكريات لا تعرف الفناءْ ..

أيّتها الأمسياتُ المضاءةُ باحتراقِ الفحْمْ..

ياالجمالِ الشموسِ في الأمسياتِ الدافئهْ

و يا لعمقِ الصمتِ و انتشاء القلبْ ...

عندما أحتويك بذراعيَّ يا مليكةَ المعبوداتْ ...

يخيل إليّ بأنّني أستنشقُ عطرَ الدماءِ التي تجري في عروقكْ

يا جمالَ الشموسِ في الأمسيات الدافئهْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

لقد أظلم الليلُ كأنّما أُسدِلتْ على الكونِ ستارةٌ كثيفهْ..

وعيناي تقودان خطاك في الظلمةِ المطبقةِ تماماً كما تفعلُ عيناكْ..

وتشربان من أنفاسك العطريةِ حتى الارتواءْ ...

أيتُّها النعومةُ الساحرةُ والسُّمُّ الزعافْ .

لقد ظل قدماك يرقدانِ على راحتيَّ كما تَركنُ اليمامةُ إلى كفِ طفلْ..

وظل الليل يزداد ظلمة كأنمّا أُسْدِلَتْ على الكونِ ستارةٌ كثيفهْ..

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أعرف جيداً فنون الأثارة عند اللحظات السعيدة

وأعيش بعمق أحداث ماضي الجاثية بين ركبتيك

إذ .. ماذا يفيد البحث عن جمالك الهادىء الحزين ...

بعيداً عن جسدك وخارج قلبك الحبيب

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

هذه الوعود وهذه العطور النفاذة وهذه القبلات التي لا تنتهي ...

هل تنبعث من هوة سحيقة تستعصي على الاستقصاء !!؟

كما ترقا في السماء الشموس المشرقهْ .. ؟

بعد أن تستحم في قيعان البحار العميقهْ.

أيّتها الوعود .. أيتّها العطور النفاذة ... أيّتها القبلات التي لا تنتهي .

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

أهبك هذه الأشعار ليتسنى لاسمي
أن يخلد يوماً في ذاكرة التاريخ والحقب القادماتْ.
ويملأ بالأحلام والرؤى عقول الناسْ .
جاعلاً منها سفينة ممتلئة الأشرعة بالريح الشماليهْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

إذ ذكراك شبيهة بالحكايات الخرافيهْ
فهي ترهق الحواس كما يُرهِقُ الضجيجُ الأذنينْ .
وبسلسلةٍ روحية ودودهْ ...
تعلقني على قوافيَّ المزدراهْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

ممن تجيء اللعنة .. هل تأتي من هوةٍ سحيقهْ .. ؟
أمْ من عليا السموات ... ؟ لا شيء خارج ذاتي يستطيع الإجابهْ..
يا أنت يا شبيهة الظلال التي لا تدوم طويلاً ..

فالتسيري على قدمينِ خفيفين ولتنظري بعينين صافيتينْ
إلى أولئك الحمقى الذين يصفونك بمر المذاقْ .
أيُّها التمثال ذو العينين السوداوين يا ملاكي المعدني العظيمْ.

أغنية خريفيّة

قريباً سوف نغوص في لجةِ البرد والظلمةْ
فوداعاً إذن أضواءَ الصيفِ قصيرةِ العمرْ
الآن قد طرق سمعي ...
ارتطامُ الحطبِ المدوي على السوحِ والطرقاتْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

سينسرب كل فصلِ الشتاءِ إلى داخلِ كياني ...
غضباً وكراهيةً ورعشةً ورعباً وأشغالاً شاقةْ ...
وكما الشمس في جحيمها القطبي ...
سيصير قلبي كتلةً حمراءَ ومتجمدةْ .

إنّي أسمعُ في رعشةِ صوتَ كلِ الأغصانِ اليابسةِ المتساقطهْ...

فمِنصة الإعدام التي نُصبت ليس لديها صدى أكثر اختناقاً..

إنّ روحي شبيهةٌ بالبرجِ الذي يهوى ..

تحت ضرباتِ المنجنيقِ المتعاقبةِ الكثيفهْ.

يخيل إليَّ وأنا أتأرجحُ من وقعِ الصدمةِ الرتيبْ ..

كأنمّا يسمرون على عجلٍ تام تابوتاً في مكان ما.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لمن .. ؟ بالأمس كان الصيف وها قد أقبل الخريفْ ..

وإنّ هذه الضجة الغامضة ترن كما ترن لحظة الرحيلْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّي أعشق النور الأخضر المشع من عينيك أيّها الجمال الهادىء

غير أنّه قد غدا لي اليوم أكثر مرارة من الملحْ ...

وحتى حبك والصالونات والمدفئات لا تساوي بالنسبة لي...

أشعة ضوء الشمس المنعكسةِ على خدِّ البحرْ.

ورغم ذلك أحبيني أيُّها القلب الحاني وكوني أماً ..

حتى للجاحد أو الشريرْ ..

كوني عشيقةً أو أختاً أو كوني العذوبة القصيرة العمرْ..

لخريفٍ بهي أو شمسٍ تأذن بالمغيبْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

مهمة قصيرة ... فالقبر ينتظر فاغراً فاه في شره ...

فدعيني أضع جبهتي على ركبتيك ...

لأتذوق في حسرةٍ طعم الصيف الوضاح الدافىء ...

فالشعاع الأصفر الهادىء قادم من الفصل المنصرمْ.

مغيب الشمس

كم هي طازجةٌ وجميلةٌ حين تشرقُ الشمسْ..

مرسلةً لنا كالانفجار تحيتها الصباحيهْ..

سعيدٌ ذلك الذي يُحظى برؤيةِ مغيبها الأكثر روعةً من الحلمْ.

أذكر أنّي رأيت الزهرَ والنبعَ والحرثْ
مغشياً عليه تحت عينٍ خفاقةٍ كالقلبْ.
فدعونا نستبق نحو الأفق ... فالوقت قد أزفْ .
لنمسك بشعاعٍ فالتٍ من قبل أن يجفْ.

بركات من السماء

صوبَ السماءِ حيثُ ترى عيناه عرشاً عظيماً ..
رفع الشاعرُ يديه الضارعتينْ ..
وأطلق من روحهِ البروقَ المشعةَ الصافيهْ ...
لتُخفي عن الأنظارِ تَوتُرَه وانفعالاته الغاضبهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

تقدست يا إلهي .. يا واهب الألمَ المقدسْ .
ترياقا مطهراً لخطايانا..
ورحيقاً شاحذاً فينا القوة لتلقي الأمتاع المقدسْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أعلمُ أنّك تختص الشاعرَ بمكانة مميزهْ
في صفوفِ السعداءِ من زمرةِ القديسيينْ
وأنّك قد دعوته للاحتفالِ السرمدي ..
للعروشِ والفضائلِ والملكوتِ المطلقْ .
أعلمُ أنَّ الألمَ هو النبلُ الأوحدْ ..
حيث لا أرض ولا جحيمْ ..
حيث أصنعُ تاجي الروحي ..
وأفرض الأزمنةَ التي أريدُ والعوالمَ التي أشتهيْ .
غير أن الحُلى المفقودة منذ عهد «تدمر» القديمهْ ..
والمعادنُ المجهولةُ ولألىء البحارْ..
التي أبدعتها يداكْ ..
لا تعادل هذا البهاء الأخاذْ ...
لأنّه منسوجٌ من الأنوارِ الشعشعانيةِ الخلابهْ ..
القادمةِ من نبعِ الإشعاع الحقيقي المقدسْ
لتقف أمامه عيوننا الفانيهْ
وكأنّها مرايا معتمةٌ وبائسهْ.

مشاعل

(روبنز) نهر النسيانِ وبستان الخمولْ

وسادة اللاحم الطري حيث يستحيل الحبْ

رغم انسياب الهواء في السماء والبحرِ في البحرْ

(ليونارد دافنشي) ... مرآةٌ عميقةٌ وداكنهْ

حيث الملائكةُ الساحرةُ بابتسامتها العذبهْ

مليئةٌ بالغموضِ إذ تبدو واقفةً تحت الظلالْ

محاطةً بالثلوجِ وأشجارِ الصنوبرِ متشابكة كالسياجْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(دميراندت) مستشفى حزين مليء بالغمغماتْ ..

وصليبٌ ضخم يتدلى من على الجدرانْ

الصلوات والدموع تنبعث من بين أكياس القمامهْ .

ومن شعاعٍ شتائي مبتورْ.

(مايكل آنجلو) .. أمكنةٌ غامضةٌ حيث يُرى هريكوليز

يمتزجُ بالمسيح ثم ينتصب واقفاً

أشباحٌ قويةٌ في دكنة المساءْ ..

تُمزقُ أكفانها بأظافرها المدببة الحادهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

(كولير دي بوكسير) ... وقاحةُ المتسكعينَ في الطرقاتْ .

أنت الذي عرفتَ كيف تستنبط الجمالَ من القبحْ

أيُّها القلبُ الكبيرُ المليءُ بالغرورْ ...

أيُّها الحزين يا مليك المحكومين بالأشغال الشاقهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

(واتــــو) .. كرنفالُ القلوبِ المضيئهْ ..

كالفراشاتِ المرفةِ المتوهجهْ

زينةٌ بهيةٌ مضاءةٌ بالثرياتْ

التي تسكبُ الجنونَ على هذا الحفلِ الراقصِ

الدائرِ حولَ نفسهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

(قويا) .. كابوسٌ مليءٌ بأشياءَ مجهولهْ

أشياءَ نيئةً تُطهى في محفلٍ ليلي للساحراتْ ...
صورُ عجائزٍ منعكسةً على المرآة وأطفال عراهْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

هذه اللعناتُ وهذا النحسُ وهذه الشكواتْ
هذا الجذبُ وهذا الصراخُ وهذي الدموعْ
أصداءٌ ترددها آلافُ المتاهاتْ
إنّها للقلوبِ الفانية أفيونٌ مقدسْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

إنّها صرخةٌ يرددها آلافُ النواطيرْ
وتطلقها آلافُ مكبراتِ الصوتْ
إنّها شعلةٌ متوهجةٌ على آلافِ القلاعْ
نداءُ صيادينَ مفقودينَ في غابةٍ ملتفةِ الأغصانْ

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

إنّها خيرُ دليل – يا إلهي –
على أنّه بوسعنا أن نُعطي من كبريائنا
وأنّ هذا النحيبُ المتواصلُ عبرَ الأزمانْ ..

سينتهي يوماً إلى زوالٍ عندَ شطِ أبديتك

الخصلات

أيُّها الشعرُ الكثُ المتموجُ خلفَ العنقْ

أيّتها الخصلاتُ، أيّها العطرُ المليءُ باللامبالاه ..

أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساءْ ...

المليءِ بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلاتْ

أريدها أن تَرِفَّ في الهواءِ كما تَرِفُّ المناديلُ على الشرفاتْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

آسيا المجهدةُ وإفريقيا ذات الغليانْ ..

كل العالمِ البعيدِ الغائبِ شبيهِ الأمواتْ ..

يحيا في أعماقكِ السحيقةِ أيّتها الغابةُ المليئةُ بالنسغِ والرحيقْ .

ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى

تسبح روحي يا حبيبتي في عطرك الجميلْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سأذهبُ إلى هناك حيث الأشجارُ والرجالُ مليئون بالرحيقْ

لأنتشي طويلاً بالأجواءِ الدافئةِ المعطاءهْ ..

أيتّها الخصلاتُ المحكمةُ الضفرِ كوني المصيدة التي ترفعني ..

لأنّك تحتوين – يا بحر الأبنوس – على أحلام مدهشهْ

من الأشرعة والمجاذيف واللهيب والصواري

المرفأُ الصاخبُ حيث تشربُ روحي ..

فيضاً من العطرِ والأنغامِ والألوانْ .

وحيث تنزلقُ السفنُ في التبرِ والألقْ

فاتحةً ذراعيها لاحتضانِ المجدْ

الراقد في السماواتِ الصافيةِ حيث يرتعش الدفءُ الأزلي.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سأدفِنُ رأسي المدمنةَ السُكْـــرْ

في هذا البحر الأسود حيث ينغلق الآخرْ

وأنّ روحي الحاذقة التي تداعبها التموجاتْ
ستعرف كيف تجد طريقها إليك أيُّها الكسلُ العامرُ بالخصبْ
لتغوص لما لا نهاية في الملذات المضمخة بالطيوبْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

شَعرٌ أزرقٌ، بنايةٌ مظلمةٌ ممتدهْ
إنّك تعيدين لي الشفقَ والسماءَ الشاسعةَ المستديرهْ
على شطآن شعرك الأزغب ذي الخصلات الملتوية المعقوفهْ
سأسكر بقوةٍ من الروائح المختلطهْ ..
لزيوتِ الكاكاوِ والمسكِ والقطرانْ

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

دائماً ولوقت طويل ستغوص أصابعي في شعرك الكثِ الأجعدْ
لتزرع فيه الياقوت واللؤلؤ والصفيرْ
لتظلين مشتعلةَ الأحاسيسِ حينما يحينُ موعدُ رغبتي.
فأنتِ واحةُ أحلامي وريِ ظمائي .
ودني الذي أحتسى من فيضهِ نبيذَ الذكرياتْ.

انسجام المساء

ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتحِ الأزهارْ ..
حينما تصوعُ كل زهرةٍ كما يضوعُ العطرُ من المبخرْ ...
وتختلطُ الأنغامُ بالشذى مخلفةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيمِ المساءْ...
شبيةً برقصةٍ حزينةٍ ودوار خفيفْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كُلٌّ زهرةٍ تضوعُ كالعطورِ من المباخرْ..
والكمنجةُ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزانْ..
رقصةٌ حزينةٌ ودوارٌ خفيفْ..
وسماءٌ محزونةٌ وجميلةٌ كمذبحٍ كبيرٍ للقرابينْ..

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كمنجةٌ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزانْ..
قلبٌ حنونٌ يبغض العدمَ الشاسعَ والظلمةَ الحالكهْ..

والسماءُ محزونةٌ وجميلةٌ كمذبحٍ كبيرٍ للقرابينْ
والشمسُ غارقةٌ في دمائِها الآخذةِ في التجمدْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

قلبٌ حنونٌ يبغض العدم الشاسع والظلمة الحالكهْ ..
ويَقطفُ من الماضي المضيءِ كلَّ ما تبقى من مباهجْ .
فالشمسُ غارقةٌ في دمائها الآخذةِ في التجمدْ ...
وذكراكِ تُشعُ في داخلي كما تتوهج التحفُ النادرهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

طعم العدم

أيّتها النفسُ الحزينةُ يامن كنتِ عاشقةً للصدامْ
فالأمل الذي كان يكبحُ من جماحكْ
لم يعد يقهركِ .. فالتهدئي من دون حياءْ
أيّتها المهرةُ العجوزُ كثيرةُ الكبواتْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

لتعتزل يا قلبي ولتنم في سُباتِ الوحوشْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أيّتها النفس المقهورةُ المنهكهْ ..

أيّتها النفس المغوارة العجوزْ ...

لم يعد للحبِ طعمٌ كما لم يعد للشجارِ طعمْ .

وداعاً ... إذن ... أيّتها الأغنياتُ النحاسيهْ

وداعاً .. إذن .. أيّتها التنهدات المزماريهْ

فلا تقربي أيتّها البهجة هذا القلبَ المظلمَ الحزينْ ..

فالربيع الحبيب لم يعد له نفس الشذى ونفس اللحونْ.

وسواس

أيُّها الدغلُ الكثيفُ إنّك تخيفني كالكتِدرائيات.

إنّك تعوى كما يعوى الأرعنْ..

فتتجاوب الأصداءُ في قلوبنا الملعونهْ ..

حيث غرفُ الحزنِ الأبديِ المرتعشةُ بالآهاتِ القديمهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّي أكرهك أيُّها المحيط الممتدْ..

أكره صخَبكَ وحركتَكَ التي لا تهدأْ .

إنّ روحي تجد كل ذلك في دواخلها ..

هذه الضحكةُ المريرةُ كضحكةِ المهزومْ .

المليئةِ بالنحيبِ والحسرةِ والإهانهْ ..

إنّي أسمع كل ذلك في الضحكة العملاقة للبحرْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كم ستعجبني أيُّها الليلُ بدونِ هذه النجومْ...

إن ضوءَها يتحدث لغةً مفهومهْ..

وأنني أبحثُ عن الخَواءِ والسوادِ والعُرىْ..

غير أنّ الظُلماتَ هي الأخرى لوحاتْ..

تعيش فيها متدفقةً من عينيَّ ..

آلافُ الكائناتِ التي تخفى على الآخرينْ .

العطر الغريب

عندما تكون عينايا مغمضتان في مساءٍ خريفي دافيء ..
فإنّني أستنشق رائحةَ نهديكِ السخيينْ ..
وأرى أمامي شواطيء رمليةً تنضحُ بالسعادهْ
يجهر ضوءُ الشمسِ الساطعِ فيها العيونْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أرى جزيرةً كسولةً تَهَبُّ فيها الطبيعهْ
أشجاراً فريدةً وثماراً تزخرُ بالرحيقْ ..
ورجالاً نحالاً أقوياءْ ..
ونساءً يثرن الدهشةَ من نظراتهن الجريئهْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

يقودني شذاكِ الفريدُ نحو أجوائكِ الساحرهْ
فأرى مرافىءَ تزدحُم بالأشرعةِ والصواريْ ...
المجهدة من أمواج البحرِ المتلاحقةِ الصخّابهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وحينما يضوعُ عطرُ أشجارِ تمرِ الهندِ الخضرهْ
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطريةٍ تداعبُ الأنوفْ..
يختلطُ في روحي الشذى بأغاني رجالِ البحرْ.

إلى امرأة شجاعة

إنّ قدميك ناعمان كراحتي كفيكْ
وردفكُ مستديرٌ يثير الغيرةَ لدى أجمل الشقراواتْ
فهو للفنانِ الغارقِ في الأفكار رسمٌ بديعٌ ونادرْ
وعيناك الرحيبتانِ الخميتانْ ..
تبدوان أكثر سواداً من بشرتك اللامعةِ السوداءْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

في موطنك الدافيءِ الأزرقِ حيث رأيتِ الضوءْ ..
كنتِ تقومين بإشعال الغليونِ لسيدك الآمرْ
وبسكبِ الماءِ العذبِ العاطرِ في الأكوابْ

وتدبين عن الخدع أرتال البعوضِ وجموع الحشراتْ
وحين تغني أشجارْ السروِ لضوْ الفجرْ
تستبقين الخطوَ لشراءِ الموزِ وأصنافِ الأناناسْ
وحيثما تشائين كان قدماك الحافيانْ ..
يقودانك في دندنةٍ خفيفةٍ بأشعارٍ قديمةٍ ومجهولهْ ...
وعندما يلفك المساءُ بعباءته القرمزيهْ
تستلقين في هدوء الطفل على الحصيرْ
لتظل أحلامك سابحةً ورفرافةً كالعصافيرْ
رشيقةً ورديةً كفرعِكِ الناضجِ بالشبابْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لماذا رَغِبتِ أيّتها الطفلة الجميلة في المجيءِ لهذه الديارْ
لهذه الأرضِ المكتظةِ بالأنفسِ المطمورةِ في العذابْ
لِمَ ارتهنت حسنكِ الغضَ لجائبي البحارْ ..
ولماذا رغِبتِ عن ظلال جوز الهند في النهارْ
لتقبلين نصف عاريهْ لهذه الثلوج والصقيعْ .
ستندبين كُلَّ ساعاتِ الفراغِ الهائلةِ البريئهْ.

حينما يلتف حول خصرك الحزامُ القاسي كالوحوشْ.
أُجبرتِ على التقاطِ خبزَ عيشكِ في ديارنا ..
وبيع عطركِ الفائحِ من مفاتنك الغريبهْ
فالعين المتأملة المرافقة لك في ضبابنا القذرْ
تتبعثر لها الأشباح الكامنة في أشجار جوز الهند الغائبهْ.

عينا برت

بوسعكما أن تزدريان أكثرَ العيون شهرةً في الكونْ .
يا عيني طفلتي الراشح والمنفلت منهما ما لست أدري له كنهاً...
سوى كونِه جميلاً وناعماً كهدأة الليلْ.
أيّتها العينان الجميلتان ... فلتسكبان عليَّ من سوادكما الأخّاذْ
يا عيني طفلتي الواسعتين الغامضتين كلُغزٍ معبودْ...
إنّكما شبيهتان بالكهوفِ السحريهْ...

حيث تلتمع وراء ركام الظلال الكسولهْ..

الكثيرُ من الكنوزِ النادرةِ المجهولهْ.

لطفلتي عينان غامضتان، عميقتان ورحيبتانْ

شبيهتان بك أيُّها الليلُ الفسيحُ ومثلَكَ عامرتان بالأضواءْ

نيرانهما مشاعرُ الحبِ المختلطة بالإيمانْ.

المتلألأة في الأعماق في إثارةٍ أو عفافْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

حزن القمر

الليلةَ ظلَّ القمرُ[1] يداعبُ أحلاماً ناعسةً وكسولهْ...

كامرأةٍ مستلقيةٍ على وسائد وثيرهْ

ساهيةً تداعب نهديها في خدرٍ ونعاسْ

---

(١) القمر في اللغة الفرنسيّة مؤنث، وعلى الرغم من أنّني استهليت القصيدة به مذكراً كما هو الحال في اللغة العربية إلا أنّني عدت لتأنيثه في المقطعين الثاني والثالث انسجاماً مع النص الأصلي، إذ أنّ تذكيره سيفقد القصيدة الكثير من الطلاوة بل ويهشم الصور التي رمى إليها الشاعر. المترجم

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وعلى ظهرِ الثلجِ الرخوِ الناصعِ الصقيلْ

راحت ناعسةً في إغفاءاتٍ تطولْ .

عيناها الفاترتان تجولان في البياضِ ...

الصاعدِ في الأفقِ كأنّه أزهارْ

وعندما ترقدُ أحياناً في ارتخائها الكسولْ

زارفة في الخفاءِ دمعةً مخزونهْ...

يمد الشاعرُ المدمنُ للسهرْ...

كفه الراعشة لاحتضان ضوئها المشعِ مثل نادرِ التحفْ

لضمه في القلب بعيداً عن أعين الشموسْ

لوحة طبيعية

لكي أنظم أشعاري الريفية المذاقْ ..

أود أن أستلقي بالقرب من السماء كما يفعل الفلكيونْ ..

وأجاور الأجراس لأستمع حالماً إلى رنينها

وتجاوب أصدائها الطائرة على أجنحة الهواءْ.

✰ ✰ ✰ ✰ ✰ ✰

يداي على جبيني ناظراً من على مرصدي

إلى ذلك المشغلِ المائجِ بالضوضاءِ والغناءْ ..

العامر بالمدخناتِ والأجراسِ والصواري التي تزحم في المدينة الهواءْ .

متأملاً في الفضاءِ العريضِ الدافعِ للحلمِ بالأبديهْ.

✰ ✰ ✰ ✰ ✰ ✰

كم هو جميلٌ أن ترى عبر الضباب كيف تولد النجومْ ..

وكيف تلتمع الفوانيس على النوافذْ..

وكيف تصعد أنهار الفحم المحترق إلى السماءْ ..

وكيف يسكب القمر ضؤه الشاحب الخلابْ ..

سأرى فصول الربيع وفصول الصيف والخريفْ ..

وعندما يُقبلُ الشتاءُ بثلجهِ الداعي للمللْ ..

سأغلقُ جميعَ الأبوابِ والنوافذْ..

لأصنع في الظلام قصوري المسحورة الغامضهْ.

وحينها سأحلم بآفاقٍ زرقاء ومضيئهْ.

بحدائق ونوافير باكية على تماثيل المرمرْ .

وقبلات وعصافير لا تكف عن الغناء صباحاً ومساءْ.
سأحلم بكل ما في هذه الأشعار الريفية من طفولهْ
بعيداً عن الصراخ الذي لا ينفذ عبر زجاج أحلامي..
وسأغوص عميقاً في هذه اللذة الجامحهْ..
مستعيداً دفء الربيع ومطلقاً الشموس من قلبي..
وصانعاً من أفكاري المشتعلةِ طقساً دافئاً وبديعاً.

ساعة الجدار

أيّتها الوثنُ المشؤومُ البشعْ ..
يا من تهددنا إصبعهُ صائحه .. (تذكروا) .
إنّ الآلامَ المصطرعةَ في قلوبكم المليئةِ بالرعبْ
ستنقرسُ فيكم كما تنقرسُ السهامُ في مراميهاْ ..

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وتتبخر الملذاتُ وتهرب صوب الآفاقِ البعيدهْ..
كما تفعل المخلوقاتُ الخرافيهْ في أعماقِ الممراتِ المظلمهْ
إنّك تلتهمُ في كل لحظةٍ قطعةً غاليةً من مباهجنا

المدخرةِ للمواسمِ المقبلاتْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

تذكروا أنّ الزمنَ لاعبٌ بارعٌ ولهمْ.
يكسب دون غش وفي كل الأوقاتْ.
تذكروا .. أنّ الأيام تتناقص والليالي تزدادْ..
واللجةُ ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

أحياناً تدق الساعةُ في لحظات صفاءٍ سماويهْ..
حيت المثلُ العليا في كامل طهرها وعذريتهاْ
والندمُ يصبحُ آخر المحطات التي تقول لنا:—
موتوا أيُّها الجبناء لا ينفع الندمْ.

أغنية ما بعد الظهيرة

رغم أنّ حاجبيك يبدوان شريانْ
ورغم أنّك تبدين في هيئة غريبهْ..
ليست كهيئة الملائكة ذات عينين صافيتينْ

ولكنّها كهيئة الساحرات ذوات العيونِ المشعةِ الشريرهْ
فإنّني أعبدك يا طيشي الجميل وسمي القاتلْ
بكل القطاعِ وإخلاص الرهبان لمعبوداتهمْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

الصحراءُ والغابةُ تعطران خصلاتِ شَعْرِكِ الأجعد الخشنْ
ورأسك المليئة بالطلاسمِ والأسرارْ ..
تترنحُ على مقعدكِ الوثيرِ حيث يضوعُ العطرْ
كما تضوع العطورُ من المَباخرْ .
إنّك فاتنةٌ كالمساءْ ..
يا حوريتي المظلمةُ الساخنهْ.
وإنّ كافة المشروباتِ المركزةِ المثيرة للشهوهْ
لا تكافيء هذا الكسلَ الجميلَ الذي تبدينهْ
يا من تجيدين المداعباتِ التي تنفخُ الروحَ في الأمواتْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

إنّ ردفكِ مولعٌ بظهركِ الجميلِ ونهديك الشامخينْ ...

وأنت تسعدين بارتخائك المثير كلّ وسائدِ الريشِ ووسائدِ الحريرْ.

وأحياناً عندما تودين إطفاءَ شهوتَكِ المتأججةِ الغريبهْ

فإنّك تفرطين في العضّ والقبلاتْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّك تمزقيني يا سمرائي الجميلهْ

بضحكتك الجريئةِ الساخرهْ

وتُلهبينَ قلبي بعينيكِ الناعستينِ كالقمرْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فتحت حذائك الجلدي الصقيلْ ..

وتحت قدميك الحريريين الساحرينْ

صببت كلّ مباهجي وأفراحي..

ووضعت كل ملكاتي ومصير حياتي

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لقد شفيتِ كلّ جراحاتي وعذابات روحي

أيّتها السابحةُ في الضياءِ المترعةُ اللونْ.

المتفجرة الدفء في صحراءِ حياتي الباردة المعتمهْ ...

القطّة

تعالي إلى قلبي المولّه يا قطتي الجميلهْ
واحفظي عليك أظافرَ قدميكِ
ودعيني أغرقُ في عينيكِ الجميلتينْ ..
عينيكِ المنسوجتين من المعدن والعقيقْ
فعندما تُداعبُ أصابعي رأسكِ وظهركِ المطاطيْ ...
تنتشي يدي وهي تُلامسُ جسدك الكهربائيْ ...
وترى عينا روحي خيالَ امرأتيْ
بنظراتها التي تشبه نظراتك أيّتها القطةُ الحبيبهْ...
في عمقها وهدوئها الجارح كالسهمْ..
وبعطرها الضائع الذي يلف جسدَها الأسمرْ..
بغلالةٍ شفافةٍ من أخمصِ القدمينِ حتى الرأسْ.

الجيفة

أتذكرين ذلك الشيء الذي رأيناه سوياً يا حبيبتي
في ذلك الصباحِ الصيفيِ الهادئْ ... ؟
تلك البغي التي ترقدُ في منحنى الطريقْ ..
على سريرها المرصع بالحصىْ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فخذان مفتوحان للهواء كامرأةٍ شبقهْ.
تتلظى رغبةً وتتصببُ عرقاً ساماً.
كاشفةً في إجهادٍ وسخريهْ...
عن بطنها المنتفخةِ بالغازاتِ النتنهْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أتذكرين كيف كانت تسلخُها الشمسُ بأشعتها المحرقهْ
كأنّما تودُ أن تُنضِجَ لحمَها المتخثر النتنْ
معيدةً بذلك إلى الطبيعةِ مائة مرهْ ..
كلّ ما نسجته من أمشاجٍ ولحمٍ وعظامْ.

ورغم ذلك فإنّك شبيهةٌ بهذه الجيفهْ
شبيهةٌ بهذا التحللِ المخيفْ..
نعم يا نجمةَ عينيَّ وشمسَ روحيْ
نعم يا ملاكي ومبعثَ إلهاميْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

نعم .. هكذا ستصيرينَ يا مليكةَ الرحمهْ
في أعقابِ الصلواتِ الأخيرهْ.
حينما ترقدين تحت العشبِ والأزهارِ الكثيفهْ
بصورةٍ أبديةٍ بين العظامْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وحينها قولي – يا حلوتي – للديدانْ
التي ستأكل شفاهك الرقيقهْ
بأنّي قد احتفظت بالشكل والجوهرِ المقدسْ...
لحبي المتحللِ المواتْ.

حسراتٌ بعد الموتْ

حينما تنامينَ يا حبيبتي السوداءَ الجميلهْ ..
في قاعِ مقبرةٍ مَشيّدَةٍ من الرخامِ الأسودْ ..
وحينما لا تملكين في مخدعك الترابي ..
غير نفقٍ رطِبٍ وحفرةٍ عميقهْ ..

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وعندما تضغط الحجارة على صدركِ الخائفْ
وعلى فخذيكِ الطريين المجهدينْ
ويصمت قلبك عن الخفقانِ والرغباتْ..
وقدماك تمسكان عن الجري وراء المغامراتْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فإنّ مقبرة أحلامي التي لا تنقضي ..
حيث ينعدم النوم في الليالي الطويلهْ
ستقول لك ماذا يفيدك أيّتها الفتاة اللعوبْ
بأن لا تعرفين ما يبكي الموتى ..
إنّه الدود .. الذي سيقضم لحمك كما تنهش الحسراتْ.

تنكيسٌ في الخلق

أتعرف الغمّ أيّها الملاكُ المليءُ بالمرحْ .. ؟
أتعرف العار والندمَ والنحيبَ والضجرْ .. ؟
أتعرف موجاتِ الرعبِ الدافقةِ من الليلاتِ المخيفهْ ؟
عندما تضغطُ القلبَ كما يفعل المرءُ بالورقة الملقاه في سلة المهملاتْ .. ؟
أيُّها الملاك المليءُ بالمرحِ هل تعرف الغمْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أتعرف الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامرُ بالطيبةِ والسماحهْ
حينما تَتَشنجُ القبضتان في ظلالِ الدموعِ والحقدِ الطاغي
وعندما يدقُ الانتقامُ طبلَته الجهنميّهْ..
وحين تصبح المشاعرُ المهتاجةُ هي القائدُ المتحكم فينا؟
هل تعرف الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامر بالطيبة والسماحهْ.
أيّها الملاك الموفورُ الصحةِ هل تعرف ويلاتِ الحمى
بين جدرانِ المستشفياتِ الصفراءِ الكئيبهْ ..
عندما يجر المرضى أرجلَهمْ كما يجر المنفيون خطاهمْ
محركين شفاهم الجافة باحثين عن ضوء الشمسْ.

هل تعرف أيُّها الملاك المليء بالعافية ويلات الحمى
أيُّها الملاك الفاتن الجمال .. هل تعرف التجاعيدْ
والخوفَ من الشيخوخةِ والتنكيسِ في الخلقْ
هل بوسعك قراءة هذا الرعبَ الخفيَّ النابعَ من الإخلاصْ
والمشعَ من عيونِنا المحشوةِ باللهفهْ
هل تعرف معنى التجاعيدِ أيُّها الملاكُ الفاتنُ الجمالْ؟ !!!

العدو

لم يكن شبابي سوى عاصفةٍ مظلمةٍ هوجاءْ ...
تخللته بعضُ الشموسِ المضيئهْ.
برغم الرعودِ والأمطارِ التي ألحقتْ به الكثيرَ من الأضرارْ..
ولم تترك في بستانهِ سوى القليلِ من ناضجةِ الثمارْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ها آنذا قد لامستُ الآن خريفَ الأفكارْ ..
لأتمكن من استخدامِ الفأسَ والمعولْ
ليتسنى لي حيازةَ الأراضي المغمورةِ من جديدْ .
رغم الأخاديدِ العميقةِ التي تنخرها المياهُ كالقبورْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

من يدري لعل الأزهارَ الجديدةَ التي أحلمُ بها
قد تجدُ في هذه الأرضِ المغسولةِ كالمقبرهْ ..
الغذاءَ الروحيَ الذي يَمدُها بالقوةِ والنماءْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أيّتها الرائحةُ .. أيتها الرائحةُ : إنّ الزمنَ يأكل الحياهْ .
والعدوَ الغامضَ الذي يقضمُ قلوبنا..

ينمو ويقوي من دمائنا المسفوحهْ.

أنشودةٌ للجمالْ

هل تنزّلتَ من السماءِ أم صعدتَ من الجحيمْ
أيُّها الحسنُ إنّ نظراتكَ الجهنميةَ المقدسهْ ..
تشعل في الروحِ مزيجاً من حبِ الخيرِ وإدمانِ الجريمهْ.
فأنت شبيهٌ بالنبيذِ المعتقِ حينما يسري في الأوصالْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّ عينيك تضمان هدوءَ الأصيلِ وتثاؤبَ السحرْ..
وتضوعُ منكِ العطورُ كما يتمددُ المساءُ المشحونُ
بالعواصفْ.
إنّ قبلاتك رحيقٌ مُسْكِرٌ وفمك إناءٌ بلوريٌ رقيقْ.
يا طالما أخاف الأبطالْ ...
وألهم الشجاعة للأطفالْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

هل خَرجْتَ من هوةٍ سحيقةٍ مظلمةٍ أم هبطتَ من
الكواكبْ.
إن القدرَ المسحورَ يتبعُ تنورتك كالكلبِ الوفيْ ..

وأنت تنثرُ الفرحَ كما تنثر المآسي.
وتتحكم في كل شيءٍ ولا تستجيبُ لشيءْ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿

إنّك تمشي على جثثِ الموتى هازئاً أيُّها الجمالُ اللامباليْ...
وليس أقل الأشياءِ روعةً ذلك الرعبُ المنبعثُ من حُلّيكْ.
إنّ القتلَ يكمنُ ضمن أغلى نفائسكْ...
ويتدلى في نشوةٍ راقصةٍ من قوامِكَ المليءِ بالغرورْ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿

إنّ صبايا الضوءِ تتحلقُ من حولك أيُّها الشمعدان الباهرْ
مترنمةً وصائحةً : بوركت أيُّها المزهو الأخّاذْ ...
فالعاشقُ الولهانُ المنكفيءُ على محبوبتِه ...
متداعياً عندك كالمحتضرِ الملامسِ لمقبرتهْ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ماذا يَهُمُّ إن كنت قد تَنَزلتَ من السماءِ أو صعدتَ من الجحيمْ!!
أيُّها الجمالُ الوحشيُ المخيفْ ...

فإنّ عينيك وابتسامتك وقدميكْ...
قد أشرعتْ لي بابَ العالمِ اللانهائي الذي أعشقهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وماذا يَهُمُّ إن كنتَ قد جئتَ من الإله أو صدرت عن الشيطانْ
وماذا يَهُمُّ إن كنتَ ملاكاً أو كنتَ من حورياتِ الماءْ
وماذا يَهُمُّ إن صرتَ جنيّةً ذات عينينِ مخمليتين .
أو صرتَ إيقاعاً أو عطراً أو القاً يا مليكي الأوحد النبيلْ
ففي حضرتِكَ يكتسى الكونُ بهاءْ...
وتصيرُ اللحظاتُ أكثرَ رشاقةً كأنّها عصفورْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

الحياة الماضية

عِشْتُ زمناً طويلاً داخلَ الأروقة الممتدهْ
حيث تسكبُ الشموسُ البحريةُ آلافَ النيرانْ
فتنتصبُ أعمدتُها الفخمةُ الملوكيهْ
جاعلةً من المساءِ كهوفاً بزلتيهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فاضطراب الموج في حركتِهِ الدائمةِ يعكس صفحة السماءْ
مازجاً في صورةٍ احتفاليه روحيهْ..
أصداءهَ المتناغمةِ وموسيقاهُ الثريهْ ..
بألوانِ الطيفِ الزاهيةِ المنبعثةِ من عينيَّ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

هنالك عِشْتُ غارقاً في اللذاتِ الهادئهْ ..
في قلبِ الشفقِ والأمواجِ والبهاءْ .
وفي وسطِ الأرقاءِ التعساءْ ..
العراةِ المشرّبينَ بالروائحِ النفاذهْ ..

المرطبينَ جبهتي بسعفِ النخيلْ ..
المعمقين في كياني الأسرارَ المؤلمةَ التي تضنيني .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

السّفينة الجميلة

أود أن أحدّثك أيّتها الساحرةُ البضهْ
عن المفاتنِ الشتى التي تزيّنُ شبابكْ
وأريد أن أرسِمَ لوحةً لجمالك الأخّاذْ..
حيث تمتزجُ الطفولةُ بالنضجِ والكمالْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فعندما تمشينَ محركةً الهواءَ بتنورتك الواسعةْ الفضفاضهْ ..
تتركينَ في النفسِ شعوراً شبيهاً بما تُخَلفهُ السفنُ المبحرهْ
جميلةً ومزهوةً حينما تمخرُ العبابْ ..
ومنزلقةً في اليمِ بأشرعتها المليئةِ بالرياحْ ..
في إيقاعٍ هاديءٍ ، كسولٍ ، وبطيءْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وعلى عنقكِ الطويلِ المستديرِ وكتفيكِ الناعمينْ ..
تتأرجَحُ رأسُكِ في لطافةٍ غريبةٍ ومدهشهْ
وفي وداعةٍ ممزوجةٍ بالزهوِ والغرورْ
تعبُرِيَن الطريقَ أيّتها الطفلةُ المكسوةُ بالبهاءْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

أود أن أحدثّكِ أيّتها الساحرةُ البضهْ
عن المفاتنِ الشتى التي تزين شبابكْ.
وأريد أن أرسم لوحه لجمالك الأخّاذْ
حيث تمتزج الطفولة بالنضج والكمالْ.

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

إنّ عنقَكِ الجميلَ الرافلِ فى الحريرْ
مزهوٌ كخزانةٍ لامعة ومتينهْ
مجتذباً الأضواء كما تفعل الدروع الصقيلهْ

✫ ✫ ✫ ✫ ✫ ✫

دروعٌ مثيرةٌ ومسلحةٌ بسنانٍ ورديهْ
خزانةٌ مليئةٌ بأسرارٍ ناعمةٍ وأشياءَ جميلهْ

وذاخرةً بالنبيذِ والعطورِ والكحولْ
الواهبةِ السُكْرَ والهذيانَ للقلوبِ والعقولْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

عندما تشمين محركة الهواء بتنورتك الواسعهْ
تتركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تُخلّفهُ السفنُ المبحرهْ
جميلةً ومزهوةً حينما تمخر العبابْ
ومنزلقهْ في اليم بأشرعتها المليئة بالرياحْ..
في إيقاعٍ هادىء، كسول، وبطيءْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّ ساقيك النبيلتين حينما تحركان أطراف ثوبك الأنيقْ..
تقلبان مواجعَ الشهواتِ الداكنةِ وتثيرانْ..
كساحرتين تَرُجّان مشروباً مسحوراً في إناءٍ عميقْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وذراعيك البضين القويينْ..
شبيهان بحيتين لامعتين متزاحمتينْ..

فقد خُلقا ليضمان في عنادٍ واصرارْ..
إلى القلبِ .. صَدْرَ الحبيبِ كأنّما يودان نقشه على الجدرانْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وعلى عنقكِ الطويلِ المستديرِ وكتفيك الناعمينْ..
تتأرجح رأسك في لطافةْ غريبة ومدهشهْ.
وفي وداعةٍ ممزوجةٍ بالزهوِ والغرورْ ... بالبهاء
تعبرين الطريق أيّتها الطفلة المكسوةُ بالبهاءْ.



الصّوت

منذ أن كنتُ صبياً كان مهدي يستندُ إلى المكتباتْ..
حيث بابلُ المظلمة والروايات والعلوم والأساطيرْ..
يختلط جميعها مع الرمادِ اللاتيني والغبارِ اليونانيْ.
لقد كنت معلّقاً في الهواءِ ككتابٍ صغيرْ.
كان هناك صوتان يخاطباني ..
أولهما مخادعٌ وماكرٌ وحازمْ.
كان يقول لي : الأرضُ قرصُ حلوى مليءٌ بالرحيقْ ..
وبوسعي أن أجعل هناءك دون حدودْ ...
وشهيتك دون مثيلْ.
أما الآخر فقد كان يصيح بي : تعال إليّ أيُّها المسافرُ في الأحلامْ ...
أيُّها الذاهب لما وراء الممكنِ وما وراء المعلومْ.
كان يغني كما تغني الريحُ في الرملْ.
كان شبحاً صارخاً لا يدري أحد من أين يجيءْ..
يداعب الآذان غير أنّه يغرقها في فزعٍ أكبرْ.

لقد أجبتك صائحاً: نعم أيُّها الصوتُ العذبْ.
ومنذ ذلك الحين جاء ما يقال عنه:
جرحي وقدري الرابضْ ...
خلف أقنعة الوجود الرهيب والهوةِ السحيقةِ المظلمهْ.
أرى بوضوحٍ عوالمَ غريبةٍ وفريدهْ
وعبر رؤيتي الواضحةِ وذهولي المميتْ
أجرجر ثعابيناً تنهشُ في حقدٍ كعبَ حذائي
ومنذ ذلك الحين وأنا شبيهٌ بالأنبياءْ
أحب بالحنان كله البحرَ والصحراءْ
وأضحكُ في المأتم وأبكي في الأفراحْ
وأجد مذاقاً طيباً في أكثرِ النبيذِ مرارهْ ..
وأعتبرُ كل الحقائقِ من قبيلِ الترهاتْ
أسير وعيناي معلقتان بالسماء فأسقط في الحفرْ
غير أنّ الصوت كان يعزيني قائلاً: لتبقي على هواجسكْ..
فالعقلاءُ ليسوا أفضل من المجانينْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الجمال

إنّني جميلةٌ كأحلامِ الحجارهْ ..
وصدري حيث يستشهدُ العشاقُ مرّاتٍ ومرّاتْ ..
قد خُلِقَ ليلهم الشعراءْ ..
قصائدَ الحبِ الخالدِ والصامتِ كصمتِ الجماداتْ .
إنّني أتربعُ على عرشِ الشفقِ كلغزٍ غامضْ
يؤلف بين القلبِ الثلجي الباردِ وبياضِ طيورِ البجعْ .
إنني أبغضُ الحركةَ التي تُربك انتظامَ الخطوطْ ...
ولا أعرفُ البكاءَ كما لا أعرف الضحكْ ...

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

فالشعراء الحائرون أمام جلال أوضاعي ...
البادية وكأنّها قد أستُلِفتْ من الصروحِ العظيمهْ ..
يستهلكون أعمارهَمْ في الهمِّ والتفكيرِ والدروسِ العقيمهْ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لأنّني كي أسحر هؤلاء العشاق المولهينْ
فإنّ في عيني مرايا صافيةً تنعكس بهاءاً على كلِّ الأشياءْ
عيناي الرحيبتان المضيئتان منذ الأزلْ.

سوء حظ

لكي ترفعَ حِملاً ثقيلاً يا (سيزيف)[1] ...
فكل ما تحتاجه الشجاعهْ
ورغم أنّ لنا قلوباً حساسةً ومؤلفاتْ ..
إلا أنّ سُلمَ الفنِ طويلٌ والزمنُ قصيرْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

بعيداً عن المقبراتِ الشهيدهْ

---

(١)في الميثولوجيا اليونانية أنّ سيزيف قد حكمت عليه الآلهة بحمل صخرة على كتفيه والصعود بها إلى قمة الجبل، غير أنّه ما أن يشارف القمة حتى تتدحرج الصخرة لتهوى إلى الأرض، فيعاود سيزيف حملها والرقي بها إلى القمة دون جدوى ،وهو بهذا يصبح رمزاً للإصرار. المترجم

ونحو قبورٍ مجهولةٍ وبعيدهْ
فإنّ قلبي كربابةٍ مشبوبهْ..
يعزفُ للخطواتِ الجنائزيةِ المحزونهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

الكثير من المرحين يرقدون هنا مطمورينْ
في غياهبِ الظلماتِ والنسيانْ.
بعيدينَ عن كل آلات الحفرِ وقياسِ الأعماقْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

الكثيرُ من الأزهارِ التي تفوح في حسرهْ..
يضوعُ شذاها الشفيفُ كأنّه الأسرارْ..
في هذا المكان العميق الوحشهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إلى سيدة كريول[1]

في تلك الأرض المضمخةِ بالطيبِ، المغسولةِ بالشموسْ.
التقيتُ في سُرادقِ أغصانِ الأشجارِ الأرجوانيهْ..
وعند هينماتِ أشجارِ جوزِ الهندِ التي تنثرُ النعاسَ على
العيونْ
بامرأة كريول ذات سحرٍ أخّاذٍ وفتنةٍ لا يُعرفُ لها مثيلْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كان لونُ بشرتها شاحباً وساخناً في سُمْرةٍ ساحرهْ.
وكانت غيداءَ ينضح من مشيتها النبلُ والكبرياءْ
فارعةً ورشيقةً في خطوتِها كأنّها قناصهْ..
ولها ابتسامةٌ هادئةٌ وعينان واثقتانْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(١) الكريول: هم الخلاسيون من بقايا الرقيق الإفريقي، الذين امتزجوا بالدماء الأوروبية في المستعمرات الفرنسية خاصّة في جزر المارنتيك والقودلوب والريونيون، ويتحدثون لغة تسمى الكريول وهي خليط من الفرنسية واللغات الإفريقية. المترجم.

إذا ما ذهبتِ أيّتها السيدةُ إلى أرض المجدِ الحقيقيْ ...
عند شطآن السين أو اللوارِ الأخضرْ ...
ستكونينَ زينةً للبناياتِ الفخمةِ العتيقهْ.
وستزرعينَ في الظلالِ المعتمهْ ...
آلاف القصائد في قلوب الشعراءْ..
المذعنينَ لحسنكِ الآسرِ كما يُذْعِنُ في بلادِكم الأرقاءْ .

الظُّلمات

في سراديبِ الحزنِ الذي لا قاع له ...
حيث أمكُثُ منفياً من القدرِ المحتومْ
لا يدلِفُ شعاعٌ ورديٌ ومرحْ ..
فالليلُ الحالكُ الكئيبُ هو المضيفُ والمؤانسْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّي شبيهٌ برسامٍ حَكمَ عليه إلهٌ ساخرْ..
بالرسم، يا للحسرة، في ظلامٍ دامسْ
فأنا محكومٌ بالطهي للشهيةِ الجنائزيهْ
وأراني أطهو قلبي وأُقبِلُ على أكلهِ بشهيهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أحياناً يتلألأ في الظلماءْ ...
شبحٌ ممزوجٌ بالرحمةِ محفوفٌ بالأضواءْ
يتبختر مزهواً في مشيتهِ الحالمةِ الشرقيهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

وحينما يبلغُ قمةَ مجدهِ الوضاءْ ..
فإنّني أتعرف على زائرتي الحسناءْ ..
إنّها هي .. سوداءٌ .. ولكن باهرة الأضواءْ

اللوحة

إنّ المرضَ والموت .. يخلفان الكثيرَ من الرمادْ
من وميضِ النارِ التي أُضْرِمتْ من أجلِنا ...
ومن تلك العيون الواسعة الذاخرة بالحيوية والحنانْ
وهذا الفم الذي طالما غرق فيه قلبي ...

✰ ✰ ✰ ✰ ✰ ✰

من هذه القبلات النفاذة كالرياحينْ..
وهذه الحركات السريعة كالشعاعْ..
ماذا تبقي الآن يا للهولْ... ؟
ليس سوى رسمٍ شاحبٍ بالأقلامْ.

✰ ✰ ✰ ✰ ✰ ✰

من مثلي يموت في وحدتهْ .. ؟

تمرغه كل يوم جناحا الزمنِ الظالمِ الوقحْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أيُّها القاتلُ الأسودُ للحياةِ والإبداعْ ..
ليس بوسعك أن تقتلها في ذاكرتي ..
تلك التي كانت مبعثَ فخري ومصدرَ بهجتيْ

المغروم

الشمس قد غطتْ وجهَها بغلالةٍ أرجوانيهْ
فيا قمر حياتي، لتُدثِّر نفسكَ بالظلالْ ...
ثم نمْ أو إن شئتَ دخِّنْ لفافتك راضياً..
وكن صامتاً وغامضاً واغرق في لجة الضجرْ.

فإنّني هكذا أحبك أن تكونْ .
ورغم ذلك فإن كنت تود الخروجْ ...
كما يخرجُ من خُسوفهِ القمرْ..
لتتبختر كالطاؤوسِ في الأماكنِ التي يزحمها الجنونْ ..
فلك ما شئت أيُّها الخِنجرُ الخارجُ من غمدهْ.

أشعل حدقاتِ عينيك من لهبِ القناديلْ ..
أشعل الرغبةَ في النظراتِ وفي النزواتْ
كل ما يصدرُ عنك فإنّه حبيبٌ لنفسي ..
حتى لو كان مرضِياً أوحادّ الطباعْ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

كنْ كما تشاء .. ليلاً مظلماً أو فجراً أحمرا..
فليس في جسدي عصبٌ لا يهتُفُ مرتجفاً:
«إنّني أعبُدكَ يا حبيبي الغالي بلزييوت»

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

نقشٌ على كتابٍ تمت إدانته

أيُّها القارىءُ المسالمُ البسيطْ..
أيُّها القانعُ الساذجُ الودودْ..
ألْقِ من يديك هذا الكتابَ المريضْ..
المليء بالسخريةِ المريرةِ .. الكئيبْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

فإن لم تكن قد ارتويت من حياضِ عالمِ البيانْ ..
لدى الشيطان الماكر الكبيرْ..
ارم هذا الكتاب .. لأنّ فهمه عليك يستحيلْ ..
وربما اعتبرت كاتبة في حالةٍ من الهياجِ والذهولْ
إن كنتَ تستطيع ترك عينيك تغوصانِ في الأعماقْ ..
فالتقرأني لتعرف كيف تحبني

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أيّتها الروحُ الفضوليّة المعذبهْ ..
الباحثة عن جنتها في تلاقيف نفسيْ...
فالترثي لحالي..
أو سأدعو عليك باللعنهْ.

موت الفنانين

كم مرةٍ يتعين عليَّ قرعُ أجراسي
وتقبيلُ جبهتك المطأطئة أيّها المخلوقُ الساخرُ الحزينْ .
لتلسعني في نهايةِ المطافِ هذه الطبيعةُ الصوفيهْ
كم مرةٍ يا كنانة سهامي تطيشُ مني السهامْ؟

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّنا نستهلكُ أرواحَنا في نسجِ الدسائسِ البارعهْ
وتحطيمِ هياكلَ أجسادِنا المتينةِ الصلبهْ
من قبل أن نتأمل هذا المخلوق الهائلْ..
الذي تملؤنا رغبته الجهنمية بالنحيبْ .

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

كثيرون ممن لم يعرفوا أصنامهمْ ...
إنّهم النحاتون المعذبون الملطخون بالعارْ
الضاربون بالمطرقة صدورهم والجباهْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

ليس لهم سوى أملٍ واحدٍ غريبْ وقبةٍ مظلمهْ

إنّه الموت الخلقُ فوق رؤوسهم كالشمسِ الجديدهْ
لِيُـفَـتّـح الأزهار في عقولهمْ.

موت العشاق

ستكون لنا أسِرةٌ مليئةٌ بعطرٍ (شفيفْ)
وأرائك وثيرةٌ وعميقةٌ كالقبورْ ..
وأزاهيرُ غريبةٌ موضوعةٌ على الرفوفْ
يَلُفنا عطرها تحت سماواتٍ أكثر بهاءْ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

متنافسان قلبانا برمقهما الأخيرْ ..
سيصبحان شعلتين تعكسان ضَوأهما الغزيرْ
على مرآة روحينا التوأمينْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وفي مساءٍ مضفورٍ بالوردِ وعالمٍ روحانيٍ أزرقْ ..
سنتبادل أضواءاً لألأةً وفريدهْ ..
ممتدة كالنحيبِ الطويلِ ومليئةً بعباراتِ الوداعْ.
وبعد ذاك يُقْبِل الملاك .. ليفتح الأبوابْ ..

متهللاً ومخلّصاً ليعيد الصفاء للمرايات المعتمة والشعلات الذابلاتْ .

موت الفقراء

يا للحسرة .. إنّ الموت هو العزاء الذي يدفع للحياهْ ..
إنّه هدفُ الحياةِ وأملها الوحيدْ..
فهو كالأكسيرِ يتفرع أجسادنا ويسكرها.
ويهب قلوبنا المقدرة على السير حتى المساءْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

عبر العواصف والجليدِ والشظايا ..
إنّه الضوءُ المتلألىء في أفقنا الحالكِ السوادْ
إنّه نُزُلنا الشهيرُ المسطورُ في الكتابْ.
حيث يمكن الغداء والجلوس والرقادْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّه ملاكٌ يمسك بأصابعه النورانيهْ ..

النومَ ويهب الأحلامَ والرؤى الصوفيهْ ..
ويهيء الفراشَ للفقراء العراهْ ..

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّه مجد الآلهة ومستودع الروحانياتْ ..
وهو هبة الفقير وملاذة الأوحدْ ..
إنّه البوابة المفضية للسماوات المجهولهْ..

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

نهاية اليوم

تحت ضوءٍ شاحبٍ خفيتْ ..
تجري وترقص الحياة متثنيةً من دون ما سببْ..
الحياة الوقحة الصخابهْ ..
هنيهةً ويصعد الليلُ المليء بالشهواتِ في الأفقْ ..
مهدئاً لكلِ شيءٍ حتى عضة الجوعِ وشدة الظمأ ..
وماحياً لكل شيءٍ حتى الشعور بالخجلْ ..
وحينها يخاطب الشاعر نفسه قائلاً : «أخيراً !!!».

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

إنّ روحي وكافة أوصالي تتوق للهجوعْ ..
وكذا قلبي المليء بالهواجس الشوهاءِ والظنونْ.
سأذهبُ لكي أستلقي على ظهري ..
وأتمرغُ في ستائركِ أيّتها الظلمةُ المنعشهْ.

سمبر أيدم

قلتِ لي : من أين يأتيك هذا الحزنُ الغريبْ ...
الصاعدُ كما يصعد موج البحرِ على صخرةٍ سوداءٍ عاريهْ..؟
أقول : عندما تجني قلوبُنا ما ترتجي من ثمرات ..
تصبح معاناةً وألماً ينقصه الغموض والإثارهْ ..
تماماً مثل بهجتكِ الغامرةِ الباديةِ للعيانْ ..
فلتكفي عن البحثِ طويلاً أيتّها الجميلةُ الفضوليهْ.
ولتصمتي رغم جمال صوتك وعذوبته.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لتصمتي أيتّها الروحُ الجاهلةُ الدائمةُ البهجهْ.
أيُّها الفمُ الضاحكُ كالأطفالْ ..
إنّ الموتَ قد غدا يُمْسِكُ بنا أكثر من الحياهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لتتركي قلبي ينتشى بالأكاذيبْ ..
وينغمس في عينيك الجميلتين كما ينغمس في الظنونْ ..
دعيهِ ينام طويلاً في ظلالِ هُدبكِ الطويلْ .

الميت الفرح

أريد أن أحفر لي حفرةً عميقةً ومظلمهْ
في أرضٍ رخوةٍ ومليئةٍ بالرخوياتْ
ليتسنى لي في مهلٍ طمرَ عظامي الواهنةِ المعلولهْ
وأنامُ على حِضنِ النسيانِ كالسمكةِ بين الأمواجْ

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

إنّني أبغض التراتيلَ الجنائزيةِ والأضرحهْ ..
وعوضاً عن أزرف قطرةَ دمعٍ أسفاً للعالم والأحياءْ ..
الأفضل دعوة كل الغربان لتدمي جيفتي الشوهاءْ.

✩ ✩ ✩ ✩ ✩ ✩

أيّتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والآذانْ ..
ها قد جاءك ميتٌ حرٌ وسعيدْ.

أيّها الحكماء الشرهون يا أطفال العفنْ.
لتمضي عبر حطام جسدي دون حسرةٍ أو إشفاقْ
وتعالي إن كان لديك عذابٌ أكثر قسوة وأمرّ مذاقْ
لهذا الجسد الواهن الراقد بين الأمواتْ .

سأم

أحتفظُ بالكثير من الذكرياتِ كأنّما عُمِّرتُ ألفَ عامْ
إنّني شبيهٌ بخزانةٍ مليئةٍ بالدفاترْ ..
والأشعارِ والبطاقاتِ الغرامية والدعاوي القضائيةِ وأغاني الحبْ.
إنّ شعري الكثيف المتدلي في خصلاتْ ..
يخفي أسراراً تقل كثيراً عما يخفي عقلي التعيسْ
إنّه هَرَمٌ ضخمٌ وكهفٌ لا قرار لهْ.
يرقدُ فيه أمواتٌ أكثر ممن تضمهم مقبرةٌ جماعيهْ.
إنّني مقبرةٌ يجفوها ضوءُ القمرْ ..

وتزحفُ فيها الديدانُ كما يزحفُ الندمْ ..

ناهشاً لحم أحباب الأثيرين إلى قلبيْ

إنّني شبيهٌ بصالونٍ عتيقٍ مليءٍ بالأزهارِ الذابلهْ

يتكدس فيه ركامٌ من الأثاثِ العتيقِ الباليْ

ولا يَسْتنشِقُ فيه عطراً فائحاً إلا أصحابُ الأقلامِ المنتحبهْ.

ليس هناك ما يشبه طولَ الأيامِ العرجاءْ

حينما يُصبحُ الضجرُ تحتَ ثقلِ سنواتِ الثلجِ المندوفْ ...

أضخمُ حجماً وأكثر أبعاداً من الأبديهْ

ورغم ذلك لَمْ تعودين أيّتها المادةُ الحيهْ ...

إلا صخرةً صلدةً يطوقها رُعبٌ غامضْ ...

قابعةً في جوفِ صحراء ملبّدةٍ بالغيومْ ..

لغزاً قديماً مجهولاً للعالم لا مبالي ..

منسياً على خارطة الدنيا .. ولا تنطلق دعابتُهُ المنفرهْ..

إلا في أشعةِ الشمسِ المائلةِ للغروبْ.

قارورة عطر

إنّها ذات عطرٍ قوي ينفذ من كل الأشياءْ ..
حتى لكأنّه ينفلتُ من جدران الزجاجْ ...
حينما يُفتحُ صندوقٌ قادمٌ من الشرقْ .
صائحةً مفاصلهُ في غضبٍ وهياجْ ...

✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿

أو من خزانةِ في بيتٍ منسيٍ مهجورْ ...
فائحة بروائحِ الأزمنةِ الغابرةِ مغيرةً سوداءْ ...
فأحياناً نجد قارورةً قديمةً غارقة في تذكارْ
من أين انبجست تلك الروح الوثابة عائدةً للدارْ
آلافُ الأفكارِ تنام متشرنقةً وكئيبهْ.
مرتعدةً في هدوءٍ في الظلام الكثيفْ ...
المطلق جناحيها لتلحق في الأثيرْ..

زاهيةً في اللازورد مطرّزةً بذهب الأصيلْ.
ها هو ذا التذكارُ المسكرُ المرفُ كالفراشْ ...
في الهواءِ العكرِ حيث تغمضُ العيونُ أجفانُها ..
ويأخذ الدوارُ بتلابيبِ النفسِ المهزومهْ ..
ليقذف بها في لجةِ الإنسانيةِ الداكنةِ النتنهْ.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

واضعاً لها على شفير هاويةٍ سحيقةٍ وقديمهْ ..
حيث رائحةُ الحنوطِ تمزق كفن العازرْ ..
فيتحرك في الجسد الطيفي الفاني ..
حبٌ رمسيٌ قديمٌ ومتخثرٌ ورائعْ !!!

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

هكذا سيكون حالي عندما تنمحي ذكراي ...
وأرقد في ركنٍ قصي من مكانٍ مشؤوم.
عندما يلقون بي كقارورةٍ قديمةٍ وبائسهْ ..

عاجزاً وأغبراً ومتسخاً ولزجاً ومحطماً .

حينها .. سأصبح تابوتك أيُّها العفنُ الحبيبْ ..

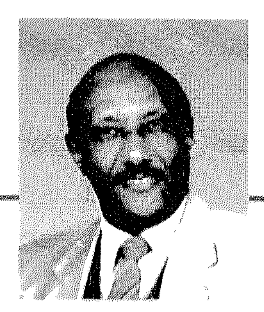
الشاهد على قوتِك ومضاءِ عزمكْ .

أيُّها السّم الحبيب الذي استحضرته الملائكهْ !

أيها السّائل الذي ينهشني .. يا حياة قلبي ونائه !!

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة



المؤلف في سطور

الاسم: عمر عبد الماجد عبد الرحمن

مكان الولادة: مدينة الكوه بالنيل الأبيض (السودان).

المؤهلات العلمية:

* بكالوريوس الآداب جامعة الخرطوم.
* ماجستير الآداب جامعة إكس- مرسيليا «فرنسا».
* دكتوراه في التاريخ والثقافات الإفريقية جامعة إكس -مرسيليا «فرنسا».
* دبلوم في اللغة الفرنسية جامعة بيزانسون «فرنسا».
* دبلوم في صناعة القرار في السياسة الخارجية للولايات المتحدة «واشنطن».

اللغات التي يجيدها: العربية والانجليزية والفرنسية.

المؤهلات العملية:

* أستاذ غير متفرغ في جامعة الخرطوم ١٩٦٩م.
* دبلوماسي في وزارة الخارجية السودانية ١٩٧٠م.
* عمل بسفارات السودان في كنشاسا ودمشق والقاهرة وتونس وباريس وجيبوتي وعمان.
* شغل منصب سفير السودان في زائير وجيبوتي والمملكة الأردنية الهاشمية.

مطبوعات: ديوان شعر بعنوان «أسرار تمبكتو القديمة».

وديوان شعر ثاني بعنوان «مهرجان العصافير والأراك».

* له العديد من المقالات المنشورة في المجلات العلمية والصحف اليومية السودانية والمصرية والقطرية والسورية.
* يحمل وسام الفهد الزائيري من الطبقة الأولى ووسام الدولة التونسية.
* متزوج وله أربعة أطفال.